وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة زيان عاشور- الجلفة -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ والآثار

مطبوعة خاصة بمقياس:

تاريخ وحضارة المغرب القديم

دروس موجهة لطلبة السنة الثانية تاريخ عام

السداسي: سنوي الرصيد: 05 المعامل: 02 التقييم: امتحان+ مراقبة مستمرة

إعداد الدكتور: أحمد ثليجي

السنة الجامعية: 2020-2021 م

محاور المقياس:

المحور الأول: مصادر دراسة تاريخ وحضارة المغرب القديم

المحور الثاني: بلاد وسكان المغرب القديم

المحور الثالث: الليبيين وعلاقتهم بالعالم القديم

المحور الرابع: قرطاجة نشأتها وتوسعها ودورها السياسي في تاريخ المغرب القديم

المحور الخامس: الموروث الحضاري القرطاجي

المحور السادس: الممالك الوطنية

المحور السابع: المظاهر الحضارية في نوميديا -الحياة السياسية والاقتصادية-

المحور الثامن: المظاهر الحضارية في نوميديا -الحياة الاجتماعية والثقافية-

المحور التاسع: المغرب في الصراع القرطاجي الروماني

المحور العاشر: مراحل الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم

المحور الحادي عشر: الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

المحور الثاني عشر: الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب القديم

تمهيد:

يعتبر المغرب القديم بحسب موقعه منطقة اتصال ما بين الحضارة المصرية، وإفريقيا جنوب الصحراء والجزر المتوسطية، وكان لكل منها نصيب في التأثير في بلاد المغرب القديم، وقد أهّل هذا الموقع بلاد المغرب عموما لأن تكون عرضة لتأثيرات أوربية وشرقية واضحة وتتأثر بالأحداث المتوسطية، وتنعكس عليها نتائج تلك الأحداث انعكاسا جليا.

فقد سجل المصريون في صلاياتهم، وعلى شرفات مبانيهم ومسلاتهم معلومات هامة عن القبائل اللوبية التي كانوا يحتكون بها على حدودهم وداخل أراضيهم، حيث تعتبر تلك الكتابات والرسوم من بين المصادر القريبة من وقائع بلاد المغرب القديم أكثر من غيرها.

وقد كان للحضارة الفينيقية الشرقية قصب السبق في التغلغل بعمق في بلاد المغرب القديم، وتفاعلت بقوة مع سكانه طيلة قرون من الزمن، وقد نقلت مجتمعات هذه المنطقة من عصور ما قبل التاريخ إلى العصور التاريخية بما نقلته من مقومات حضارية وعلى رأسها الكتابة الأبجدية، حيث تأسست قرطاج كقوة فينيقية إفريقية على ضفاف المتوسط وكانت لها جولات من التعامل السلمي التجاري، وحتى الصراع العسكري مع القوتين العظميين الإغريقية والرومانية.

ولم يحظ تاريخ المغرب القديم بما يستحقه من اهتمام لدى أبناء المنطقة أنفسهم لظروف الفترة الاستعمارية، وبقي إلى حد كبير حكرا على المؤرخين الغربيين الذين وجهوه بحسب ميولهم وبما يخدم مصالحهم الاستعمارية، وإذا كان الأوربيون بعد استقلال البلدان المغاربية قلّ اهتمامهم نسبيا ببعض قضايا التاريخ القديم لمستعمراتهم السابقة، فإن المؤرخين المغاربة لم يغطوا ذلك العجز والتقصير من أجل كتابة تاريخ بلادهم وتأسيس مدرسة مغاربية تعيد قراءة تاريخ المنطقة القديم قراءة جديدة تزيح ما انطبع في أذهاننا من تصورات عنصرية استعمارية حول تاريخ منطقتنا القديم.

المحور الأول: مصادر دراسة تاريخ وحضارة المغرب القديم

يعتمد المؤرخ في دراسته لأي حضارة على العديد من المصادر التي يأتي في مقدمتها المصادر الأثرية "المادية" ثم المؤلفات الكلاسيكية اليونانية والرومانية بالإضافة لما ورد بالكتب المقدسة، وسنحاول في هذه المحاضرة ان نتناول المصادر المادية والكتابية التي تعنى بدراسة تاريخ وحضارة المغرب القديم.

I. المصادر المادية:

لقد أدت أعمال الحفائر التي أجريت في الكثير من مناطق المغرب القديم إلى الكشف عن مجموعات كبيرة من الأثار المتنوعة، ما بين آثار ثابتة كالمعابد والمنازل والقلاع والأقواس ... وآثار متنقلة كالتماثيل والأسلحة وأدوات الزينة والأواني المنزلية...فالآثار المادية تشمل جميع المخلفات المادية التي تعود إلى الماضي سواء كان قريبا معاصرا أو بعيدا يعود إلى عصور ما قبل التاريخ ، بحيث تغطي أنواع الفنون مثل :العمارة والزخرفة والرسومات والنقوش بما فيها الأثار المشاهدة كالمباني التذكارية، أو التي ظلت مغمورة تحت التراب والتي لا يمكن التعرف عليها إلا عن طريق التنقيبات الأثرية، أو التي يتم الكشف عنها أحيانا عن طريق الصدفة.

إن المصادر المادية تمثل بحق شواهد حقيقية وأصيلة للنشاط الإنساني وتفاعله، حيث تعتبر أصدق المصادر وأكثرها اقترابا من الحقيقة لأنها تعكس الواقع بعيدا عن ميول الباحث وتوجهاته الفكرية والإيديولوجية، وكمثال على ذلك الأثار الرومانية بالجزائر التي تظهر بصدق المستوى الحضاري لتلك الفترة من حيث شكل البناء وطراز العمارة، ونوعية الحياة الاقتصادية والاجتماعية كما هو دون تحوير أو تغيير، ماعدا ما يمكن أنه طرأ عليها نتيجة تأثير عوامل المناخ والزمن، والتي يجب أن يأخذها الباحث بعين الاعتبار.

والمصادر المادية هي مصادر صامتة يقتضي استنطاقها حذراً شديداً وموضوعية فائقة وقد تعدّدت وتنوعت من عصر لآخر،

وتعتبر الفترة البونية الأقدم وتتميّز بقلة المصادر الاثرية، ومع ذلك أفرزت بعض المخلفات الاثرية مثل مدينة كراكون التي كشفت عن مدينة بونية كاملة المعالم (طرق، أسوار، معابد، منازل...)[1]، ومن نفس الفترة نجد معبد التوفات (Tophet) الذي يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد في صلامبو في تونس بالإضافة إلى الانصاب التي توفر معلومات مهمة[2]، بالإضافة إلى مجموعة من اللقى الاثرية التي تعود لنفس الفترة مثل

الفخاريات ذات الطلاء الأحمر والأسود والمزركشة والحلي التي وجدت في القبور، مثل الحلي التي وجدت في جزيرة رشقون والأندلسيات (Les Andalouses) بالقرب من وهران كالقرط الذي صنع على هيئة تانيت[3].كما يعتبر سك العملة من المظاهر الهامة التي عرفتها الحياة الاقتصادية في المغرب القديم، حيث يلاحظ المتتبع للآثار الفينيقية البونية بالجزائر، بأن وجود القطع النقدية ضمن الأثاث الجنائزي لايتجاوز تاريخه القرن الثالث قبل الميلاد وهي في غالب الأحيان عائدة إلى فترة الملوك النوميديين[4].

ومن الاضرحة نجد المدغاسن كأقدم نموذج للعمارة النوميدية[5] يعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وضريح الصومعة بالخروب يعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد[6]، وضريح صبراتة في القرن الثاني قبل الميلاد في إقليم طرابلس[7]، وقبر الرومية (الضريح الملكي الموريطاني) يعود إلى القرن الأول ميلادي[8]، ولجدار في تيارت وهي مكونة من 13 بناء محاط بقبور صغيرة والذي يعود إلى القرن الخامس ميلادي[9]، ومن المعابد نجد معبد شمتو الذي بناه الملك مكوسن في المدينة الملكية بولا ريجيا يعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد[10].

ومن الفترة الرومانية نجد العديد من المدن الاثرية محاطة بأسوار وأقواس نصر، وبها مرافق يومية ومرافق دينية ومنازل وساحات عامة (فوروم) ونافورات ومن هذه المدن: كويكول (جميلة)، تيبازة، روسيكادا (سكيكدة)، وثاموقادي (تيمقاد)[11]، ومن هذه المدن نستشف الكثير من التفاصيل عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لسكان المغرب في الفترة الرومانية. وفيما يخص النقائش اللاتينية المتواجدة بكثرة في شمال افريقيا بالنظر لطول فترة التواجد الروماني نسبيا بالمنطقة، فهي تنقسم عموما إلى قسمين: كتابة بأحرف بارزة وهي السائدة، ثم الكتابة المعروفة باسم "Acta" وهي التي تستعمل عادة لتدوين الوثائق الرسمية[12].

II. المصادر الأدبية:

وهي مصادر أساسية للمادة الخام وسجل تفصيلي للحوادث، وتعرف عادة" بالأصول " وتعتبر أرقى أنواع المصادر المسجلة مع أنها لا يمكن أن تتجرد من الانطباع والتأثر الذي يلاحظ على الكاتب من خلال تأثره بالأحداث وما تتركه في نفسيته، مما يجعل الحقيقة يكتنفها بعض الشك الذي يحد من مدى موضوعيتها

وصدقها ونزاهتها، ولهذا يجب أن تؤخذ نفسية كاتبها ومسجلها بعين الاعتبار من طرف الباحث عند التعامل مع المادة التاريخية .

تشكل هذه المصادر عنصرا أساسيا، وأحيانا كثيرة وحيدا، لمعرفة أخبار افريقيا الشمالية في العهود القديمة. ومن نافلة القول أن البحث التاريخي الجاد لا يكتمل إلا بتضافر المصادر الأركيولوجية والمصادر الأدبية. وفي هذا الصدد نتوفر على بعض الترجمات لأدباء اغريق وروما ن الذين اهتموا بالمنطقة، خاصة أثناء فترة ارتباطها بالصراع الفينيقي الروماني بالمنطقة خلال القرنين 3و2 ق .م، أو التواجد الروماني بالمنطقة.

وأقرب الترجمات إلينا، هي تلك السلسلات التي تصدرها دور النشر الفرنسية : Garnierو Belles-Letters وهي دور نشر أخذت على عاتقها مهمة نشر أعمال المؤرخين والجغرافيين الكلاسيكيين مثل سطرابون، هيرودوت، بلين القديم، بطليموس ، بومبونيوس ميلا، وهي أعمال تختلف من حيث الإخراج وجودة التحقيق، فضلا على أن أعمال هؤلاء المؤلفين لم تصل دائما إلينا مكتملة.

ولا بد في هذه العجالة، من الإشارة إلى أسماء ساهمت بدورها في التعريف بالمنطقة ونذكر منها: "حانون" صاحب الرحلة الشهيرة خلال القرن السابع قبل الميلاد، والذي تجاوز "أعمدة هرقل"، ثم سيلاكس Scylax الرحالة الإفريقي الذي قام برحلته في منتصف القرن الـ 17 ق.م[13].

وبجانب هؤلاء الرحالة والجغرافيين، تجب الإشارة إلى هؤلاء الذين جمعوا بين التاريخ والجغرافيا، ونذكر من بينهم، هيرودوت، بوليب، ديودور الصقلي، أبيان، سالوست، وبعض الأفارقة نذكر من بينهم القديس أغسطس وأبولي.

إلا أنه يؤخذ على المؤرخين والجغرافيين الغربيين العديد من المآخذ، ومنها روح التعصب التي عرفت عنهم وعن وحضارتهم وإظهارها وكأنها أرقى من غيرها، وعلى ذلك فقد اهتموا بإبراز نواحي الغرابة في حضارة المغرب القديم، وكذلك اهتمامهم بالأساطير والروايات المنقولة دون التأكد من صحتها، يضاف إلى ذلك جهلهم بلغات ولهجات البلاد، وهذا ما أثر على كتاباتهم. وسنستعرض في هذه المحاضرة لأهم هؤلاء الجغرافيين والمؤرخين، مع تبيان أهم مؤلفاتهم.

1.المؤرخون الإغريق:

أ.هيرودوت (Hérodote) (484-420 ق.م):

ولد في هاليكارناسوس في جنوب غرب آسيا في بداية القرن الخامس قبل الميلاد، ولا يمكن تحديد تاريخ مولده بالضبط. ومات في ثورى في جنوب إيطاليا عام 420 ق.م. ولقد ترك مقر مولده قبل عام 454 ق.م. وقد قام بزيارة العديد من المناطق والحضارات وكتب عنها ومن بينها المغرب القديم الذي هو جزء من ليبيا.

وقد جاء كتابه التاريخ في تسعة أجزاء، وما يهمنا منها جزآن: الثاني والرابع والذين يتحدث فيهما عن ليبيا وسكانها الليبيين. فقد ذكر ان ليبيا تقع الى الغرب من مصر وهي متصلة بها[14]،وتحدث عن لباس الليبيين[15]، وطريقة دفنهم[16] ومساكنهم وطريقة حلق شعورهم وطبيعة المنطقة وحيواناتهم الأليفة والمتوحشة وأخرى أسطورية[17]، كما تحدث عن القرطاجيين وطبيعة بلادهم وتجارتهم مع سكان المنطقة[18]، كما ذكر أن ليبيا تضم أربع أمم اثنتان منها أصليتان: الليبيون والحبشة واثنتان غير أصليتين هما الفينيقيون والاغريق[19] غير انه وبالرغم من المعلومات التي اوردها عن المنطقة إلا أن حديثه عن المنطقة وصف بالمبالغ في بعض الاحيان حيث كان يكتب كل ما يسمعه دون فحص او تحري للحقيقة في بعض الأحيان.

ب.استرابون (Strabon):

هو جغرافي إغريقي، ولد في أماسيا في اقليم بونتوس على البحر السود، وكان شديد الثراء مما مكنه من التنقل إلى مناطق عديدة في العالم، عاش ما بين القرن الأول قبل الميلاد وبداية القرن الأول ميلادي، وتتميز كتاباته بأنها نوع من الجغرافية التاريخية، ولقد قسم مؤلفه إلى سبعة عشرا جزءا وزع عليها أقاليم العالم[20]، حيث أورد معلومات في كتابه الجغرافيا في الكتاب السابع عشر في الفصل الثالث حول المنطقة، وقدَّم وصفا شاملا لكل سواحل شمال افريقيا من دلتا النيل شرقاً الى نهر ليكسوس بالمغرب الاقصى، وتحدث عن سكانها في اغلبهم واراضيهم كما تطرق إلى حيواناتهم[21]، تحدث عن المور كقبيلة ليبية غنية تعيش فيما يقابل إيبيريا، وإلى الجنوب منهم يسكن الجيتول[22]، ووصف ملابسهم وتصفيفة شعورهم وزينتهم ويذكر أن المور جاؤوا مع

جنود هرقل[23]، كما تحدث عن قورينائية[24] وقرطاجة منذ تأسيسها إلى سقوطها وركز على الحرب البونيقية الثالثة[25].

ت. بوليبيوس (Polybius):

المؤرخ الاغريقي الشهير الذي عاش خلال القرن 3 ق.م.. ويتألف كتابه المعروف "التاريخ العام " من 40 جزءا لم يصلنا منها إلا خمسة أجزاء، ويتحدث عن الفترة الممتدة من 272إلى 146 ق.م.، أي أنه يغطي الحروب التي دارت بين روما وقرطاجة والتي عرفت بالحروب البونيقية[26].

ينتمي إلى وسط ارستقراطي من اركاديا بالبليوبونيز عاش ، تولى منصب الخيالة ارتبط بعائلة سكيبيو الافريقي ذات النفوذ السياسي والعسكري حيث اتخذه مستشارا له، تطرق لقرطاج في إطار تناوله المراحل الاولى من تاريخ الجمهورية الرومانية، وتناول ضمنها المعاهدات والحرب الاولى واهتم بالحرب الثالثة وسقوط قرطاج، فقد كان قائد القوات الرومانية في جيش سكيبيو، يعتبر مصدرا اساسيا في دراسة الحرب الاولى وانعكاساتها، كما نعتمده في دراسة الحرب الثالثة ومؤسسات قرطاج ونظامها السياسي، وعلى الرغم من انحيازه لروما تحدث عن مستوطنات الفينيقيين وعلاقتهم بالمغاربة، وتحدث عن حدود قرطاجة، وتشير بعض الكتابات التاريخية ان بوليبيوس كان قد قام برحلة عبر سواحل المحيط الأطلسي، وكتب كتابا ضمنه مشاهداته إلا أن كتابه قد ضاع وأخذ عنه بلين الكبير[27].

ث. ديودور الصقلي (Diodore de Cicile):

مؤلف من القرن 1ق .م. نشأ في صقيلية بين القرنين الثاني والأول قبل الميلاد عاصر يوليوس قيصر واغسطس، كتب تاريخ العالم منذ اقدم العصور حتى حرب قيصر على بلاد الغال 54 ق.م عنونه بـ"المكتبة التاريخية"، تحدث عن اغاتوكليس ونقله للحرب الى شمال افريقيا، واستيلاءه على املاك قرطاجة، وتحدث عن النوميديين وذكر بانهم يسكنون بمحاذاة قرطاجة، وقسّم سكان المغرب الى أربع فئات: القرطاجيين، الليبيين الفنيقيين الذين يسكنون السواحل لهم حقوق المواطنة القرطاجية، النوميديين وتشمل هذه التسمية كامل سكان المناطق الداخلية الذين يعادون القرطاجيين، والسكان الرحل الذي يتوزعون في المناطق

الداخلية حتى مشارف الصحراء[28]، اعتمد ديودور النقل عن مؤرخين سابقين والمفاضلة دون تبرير منطلقاتها.

ج. بلينوس الأكبر (Pline L'Ancien):

احد علماء الطبيعة عاش في القرن الأول ميلادي، كان بلينوس مقربا من الامبراطور سيبسيان ، وقد عين قائدا لبعض وحدات الاسطول. وتميز لكونه عالما موسوعيا ، تناول في مؤلفاته العلوم العسكرية والتاريخ والتعليم واللغة، ولم يبق من مؤلفاته 102 مؤلفا سوى موسوعة التاريخ الطبيعي[29] ، حيث كتب التاريخ الطبيعي في 37 مجلد[30]، اعتمد على كتاب ماغون الذي اختفى، بدأت رحلته من المحيط الاطلسي غربا حتى البحر الاحمر شرقا ولم تتجاوز معلوماته الساحل والمناطق التلية داخل المغرب، ذكر ان بلاد المغرب كانت مقسمة الى موريطانيا و نوميديا وافريقيا البحتة والى الشرق منها تقع السرت وقورينة[31].

ح. ابيان (Appien):

هو أبيان السكندري المولود بالإسكندرية سنة 95 م، وهو صاحب موسوعة "رومايكا" "Romaica" التي أورد فيها عددا لا بأس به من المعلومات عن يوبا الثاني، ويعد مرجعا هاما عن الفترة المضطربة القلقة التي عاصرت يوبا الثاني، تلك الفترة التي شهدت صراع قيصر وبومبي.

كتب بالإغريقية التاريخ الروماني تاريخ التوسعات الرومانية في 24 كتابا منذ بدايتها الى سنة 69م، صنف كتبه حسب المناطق الجغرافية والشعوب التي شملها توسع روما، بقي منها تسعة كتب كاملة، وعرف بانحيازه في كتاباته لروما، تحدث في الكتابين المخصصين لليبيا وايبيريا عن الحرب الثانية في ايبيريا، ومعطيات تهم نوميديا وقرطاج، وقد تضمنت كتاباته العديد من الوثائق والمصادر التي كادت تضيع لولا مجيء كتاباته (مثل ما فقد من تاريخ بوليبيوس وتيتيوس ليفيوس)[32].

2.المؤرخين الرومان:

أ. كورنيليوس نيبوس (Cornilius nipos):

مؤرخ روماني عاصر شيشرون وهو من منطقة فيرونا ومن أوائل المهتمين بأدب التراجم، ومن بين المؤرخين اللاتين الذين عاشوا في القرن الأول قبل الميلاد. وقد ألف كتابا بعنوان "سير مشاهير الرجال" في ثلاثة أجزاء

بقي منها الثالث كاملا خصصه لسير القادة المتميزين في الامم الأجنبية، وتحديدا اشهر القادة الاغريق وملوك الفرس ومقدونيا وخلفاء الاسكندر وهاميلكار وابنه حنبعل[33].

ب. تيتوس ليفيوس (Titius Livius):

يعتبر من أشهر المؤرخين الرومان عاش في الفترة ما بين (59 ق.م- 17 م) مما يعني أنه عاش في نهاية القرن الأول قبل الميلاد وبداية القرن الأول ميلادي.

وقد تفرّغ في سنة 25 ق.م لكتابة تاريخ روما وعنون كتابه بـ (Histoire Romaine)."التاريخ الروماني"[34] وهو مكوّن من 142 جزء بقي منها 35 ، ومقتطفات من بقية الكتب، وتناول في سياق ذلك الحروب البونية الثانية، وقد أرخ لها في الكتاب من 21 إلى 30 واستعرض احداث الحرب الأولى والتوسع القرطاجي في ايبيريا في ثنايا الكتب من 16 إلى 20، بينما تناول الحرب البونية الثالثة ابتداء من الجزء 49 وبقيت ملخصاتها، وأتى على ذكر العديد من المدن المغربية التي كانت موجودة آنذاك، وكذا اسماء بعض الملوك المغاربة الذين شاركوا فيها، غير انه على الرغم مما منحتنا كتبه من معلومات الا انه عرف بالأسلوب الادبي[35]، ومن المآخذ التي وجهت له انه عرف باعتزازه بتدوين منجزات "شعب سيد العالم"[36].

ج.بومبينيوس ميلا (Pomponius Mela):

وهو مؤلف اسباني الأصل من القرن 1الميلادي. صاحب كتاب "De chorographia " وهو عبارة وصف للعام المأهول أنذاك. قام برحلة من اعمدة هرقل غربا حتى مصر شرقا وصف فيها سواحل إفريقيا اكثر دقة مما فعل الجغرافي استرابون، تطرق الى اصل السكان وقد ربط في كتابته علاقات وطيدة بين اسبانيا وبلاد المغرب[37].

د.سالوستيوس (Sallustuis):

المؤرخ والسياسي الروماني الشهير (86ق.م-36ق.م) وهو صديق يوليوس قيصر، حيث استعان به في حملاته العسكرية على شمال افريقيا، بل وعين الياموزدا بجميع السلط على ولايات افريقيا الجديدة " Africa

Nova" (وهي الجزء النوميدي الواقع غرب تونس والذي كان خاضعا للملك الامازيغي يوبا 1 والذي انتزع منه بعد المعركة "تابسوس" سنة46ق.م.)،

من المؤرخين الرومان الذين تناولوا في كتاباتهم المغرب القديم، شغل عدة مناصب في روما فكان نقيبا للعامة في مجلس الشيوخ وقد طرد من منصبه لأسباب اخلاقية في 50 ق.م، له كتاب مؤامرة كاتلينا (64- 62 ق.م)، وحرب يوغرطة (116-105 ق.م) وكتاب التواريخ الذي ضاع[38]، تحدث عن سكان شمال افريقيا ووصفهم بأنهم بدائيون وبرابرة يأكلون لحوم الحيوانات المتوحشة أو أعشاب البرية كالحيوانات لا يعرفون رادع أخلاقي ولا يخضعون لقانون ولا لسلطة سيِّد، لا يملكون مساكن ثابتة يتجولون من منطقة لأخرى ولا يوقفهم إلا الليل، كما أتى على ذكر النوميديين والجيتول والمور والليبيين وكيف امتزجوا مع جيش هرقل المكون من الفرس والأرمن والميديين[39]، غير أن المؤرخين وجَّهوا انتقادات عديدة وشككوا في صحة روايته على الرغم من ادعاءه انه نقلها عن وثائق بونية تعود للملك النوميدي هيمبصال، كما عرف عنه نقص الدقة في تسمية الأماكن الجغرافية.

هـ.بطليموس (Ptolemie):

وهو جغرافي شهير من الذين كتبوا عن القرن الثاني ميلادي، يهتم كتابه الرابع بإحداثيات المغرب القديم، حيث تعد خريطته من شمال افريقيا من أهم الأعمال النادرة في التاريخ القديم[40].

3.العرب من الفترة الوسيطية:

تناول العديد من مؤرخي الفترة الوسيطية العودة للأصول والكتابة عن بلاد المغرب في الفترة القديمة ولكن ذلك لم يكن حول تاريخ الممالك الوطنية وإنما تعرضوا لذلك من جانب أصول البربر[41]، في مقدمتهم عبد الرحمان بن خلدون في كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر" في سبعة أجزاء[42]، حسن الوزان الملقب "بليون الافريقي" في كتابه "وصف افريقيا"[43]، ومارمول كربخال في كتابه "أفريقيا"[44]، وابن عذاري المراكشي في كتابه "البيان المغرب في اختصار اخبار ملوك الاندلس والمغرب"[45]، والبكري في كتابه "المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب"[46] والادريسي في كتابه "نزهة المشتاق لاختراق الآفاق"[47] وكتاب "الاستبصار في عجائب الانصار" لمؤلف مغربي مجهول[48].

المحور الثاني: بلاد وسكان المغرب القديم

I - البلاد:

ينتمي المغرب القديم بحسب التضاريس والمناخ إلى منطقة البحر الأبيض المتوسط وإفريقيا معا، حيث يكوّن القسم الشمالي من المغرب منطقة جبلية ممتدة نحو البحر الذي يحيط بها من ثلاث جهات . أما الساحل الليبي فهو يتراجع نحو الجنوب، وذلك عكس ما هو عليه الساحل المغربي في حوض البحر الأبيض المتوسط الغربي، وهذه التضاريس حديثة التكوين وترجع نشأتها إلى أواخر الزمن الجيولوجي الثالث أثناء تعرض المنطقة للحركة الالتوائية الألبية . وتعتبر هذه التضاريس من العوامل المؤثرة في حياة الانسان وتتلخص في أن نسبة كبيرة من سطح المنطقة المغاربية تتألف من مرتفعات جبيلية تنتشر بينها سهول ضيقة نسبيا، ويأخذ شكل الجبال فيها صفة السلاسل شبه المتوازية في اتجاه عرضي من الشرق إلى الغرب تبعا للاتجاه العام الذي تأخذه الجبال الألبية الأوروبية.

وانطلاقا من الأهمية الفلاحية للأراضي المغاربية فإن السهول تقّسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية :

- السهول الساحلية : وتنتشر في عدة مناطق متاخمة للبحر، وتتصف بالخصوبة وقلة الامتداد بسبب الكتل الجبلية الساحلية التي تقطعها كسهول مجردة ، والسهول الساحلية الشرقية في تونس والسهول الغربية في المغرب .
- السهول الداخلية : وتتوسط الجبال وهي أقل خصوبة من السهول الساحلية، وتماثلها في عدم الامتداد الكبير (مثل سهول معسكر وسيدي بلعباس).
- السهول العليا : تمتد على مساحات شاسعة في المنطقة المحصورة بين سلسلتي جبال الأطلس التلي والأطلس الصحراوي، وهي عبارة عن مراعي مشاعة بين الرعاة يجوبونها بحثا عن الكلأ والماء ، وهي أراضي سهبية فقيرة زراعيا تمثل منطقة انتقالية بين مناطق التل والصحراء.

وهذا التشكل الجغرافي التضاريسي جعل بعض الباحثين في جغرافية المغرب التاريخية وعلى رأسهم غوتي(Gautier) يطلق ما يسمى باللعنة الجغرافية التي حالت دون تحقيق الوحدة السياسية في المغرب القديم عبر تاريخه الطويل، وهذا العائق الجغرافي يفسره جوليان بأنه (Julien) بأنه يتمثل في التجزؤ

الجغرافي ، وصعوبة المواصلات ، وانعدام الأودية، وعدم صلاحية الأنهار، وعلاء البحر، كما يرجع مسؤولية هذا الاخفاق السياسي في نظره إلى ما أورده حول الطرح الدائم بين البدو والحضر الذي لم ينته بفوز واحد عن الآخر.

وقد كان لغوتييه (Goutier) وللسائرين في نهجه أن يلاحظوا في جغرافية المنطقة من تضاريس ومناخ ما يؤكد لهم صفة الديمومة الجغرافية السلبية لبلاد المغرب، ولذلك استنتجوا من هذه الخصائص حتمية قيام نمطين من المعيشة على الأقل :

- نمط زراعي: يتمثل في السهول وفي الجبال الشمالية المتقطعة.
- نمط رعوي: يتنقل بين السهوب الفسيحة والمناطق الزراعية الشمالية،

وهو ما أدى في نظرهم إلى تضارب المصالح الاقتصادية للمجموعتين ، وإلى عدم استتباب الأمن بين الطرفين على مر العصور، وهذا ما يفسر ضرورة استعمال القوة لفرض الأمن ، وهذا الناقض أيضا تعذر معه في نظرهم القيام بعمل موحد، فالمثل الأعلى للبدوي كان يتجلى في حرية التنقل والحصول على لقمة العيش وعدم الخضوع للنظام ، وكل هذا حتم على الحضارة في إفرقيا الشمالية أن تكون حضارة المدينة والسهل الخصب المحيط بيها ، وهما الإطار الطبيعي الملائم لتمركز العنصر الأجنبي عبر العصور، ونتج عن هذا في المقابل تركز الأهالي في المناطق الجبلية وفي السهوب والصحراء منتظرين فرص ضعف المحتلين للانقضاض على الحدود واخترق المنشآت الدفاعية وتهديم الحضارة من الأساس.

II. السكان:

يعتبر أصل سكان المغرب القديم والأسماء التي عرفوا بها من المواضيع الهامة لمعرفة تاريخ المنطقة، حيث يلاحظ اختلاف وتباين تلك الأسماء من مصدر إلى اخر، ومن فترة زمنية إلى اخرى وذلك تبعا لتغير نظرة الأخرين لهم.

1- تسميات السكان:

تعددت التسميات التي أطلقت على بلاد المغرب القديم أو شمال افريقيا حسب الازمنة والاقوام البشرية المحلية ام الوافدة عليها، ففي القديم كانت الأقاليم تحدد بجنس سكانها وكانت حدودها ترسم بالفواصل الطبيعية مثل السلاسل الجبلية او الانهار ومن بين هذه التسميات نجد:

أ- تسمية ليبيا (لوبا):

ظهر اسم الليبيين لأول مرة في الوثائق المصرية التي تعود إلى عهد ما قبل الأسرات أي في نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد، حيث ذكرت النصوص الهيروغليفية الشعوب القاطنة إلى غرب نهر النيل تحت اسم "الليبو" " (L.B.W)[49]، حيث عثر على نقوش بونية كتبت على شكل (لبي LBY) و(لبت LBT) على نصب صلامبو وفي معبد الحفرة، ونقش ليبي بوني في مكثر بمعنى "في بلاد الليبيين"[50].

ويذكر هيرودوت أن ليبيا تلي مصر وتتصل بها، وانها القارة الثالثة بعد اوروبا واسيا في العالم القديم[51]، وأن حدودها من مصر إلى رأس سولوئيس[52].

كما ورد اسم الليبيين في التوراة (العهد القديم) وبالضبط في سفري التكوين والوقائع، ووصفوا بأنهم محاربين أقوياء وكجيش كثير العدد بمركبات[53].

وأشار سالوست إلى أن الليبيين قد امتزجوا مع جيش هرقل المكون من الفرس والأرمن والميديين، على الرغم من تحقيره لهم، فقد وصفهم بأنهم بدائيون وبرابرة يأكلون لحوم الحيوانات المتوحشة أو الأعشاب البرية كالحيوانات ولا يعرفون رادع أخلاقي ولا يخضعون لقانون ولا لسلطة سيِّد، ولا يملكون مساكن ثابتة ويتجولون من منطقة لأخرى ولا يوقفهم إلا الليل[54].

كما اورد المؤرخان فرانسوا دوكريه ومحمد فنطر فرضية تستند لفقه اللغة مفادها ان اصل "ليبو" قد يكون منسوبا للبحارة الإغريق الذين اطلقوا مصطلح ليبوس "Libuses" على سكان السواحل الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط والتي تعني أسود داكن، مقابل مصطلح ليقوس "Liguses" الذي يعني فاتح لطيف على سكان السواحل الشمالية للبحر الأبيض المتوسط[55]، والجدير بالذكر أن مصطلح "ليبيا" عند الإغريق

يطلق على كل القارة، بينما الليبيون هم القاطنون على طول سواحلها الشمالية من حدود مصر إلى المحيط الأطلسي، في حين يقطن في جنوب ليبيا الأثيوبيين.

وقد استمرت كلمة ليبيا في الدلالة على منطقة كبيرة من افريقيا الشمالية. أما اسم الليبيين فقد تطور مع الزمن فبعد أن كان يطلق على سكان شمال افريقيا، فالنوميد والمور كانوا ليبيين . بدأ ذلك المصطلح ينحصر شيئا فشيئا حتى أصبح موازيا لمصطلح "أفري" الذي كان يعني السكان الأصليين الخاضعين لقرطاجة.

وتجدر الاشارة الى أن مصطلح ليبيا بدأ في التراجع من حيث الاستعمال في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد، وبدأ استعمال مصطلح جديد هو افريقيا[56].

ب- **تسمية افريقيا**:

يعتبر هذا المصطلح حديث نسبيا وذلك من خلال الاستناد على الشواهد الكتابية التي لا تتجاوز آواخر القرن الثالث ق.م، وقد ظهرت هذه التسمية مع الرومان الذين أطلقوا على الأرض التي ألحقوها بممتلكاتهم بعد سقوط قرطاجة عام146 ق.م، وقد سمى الرومان المنطقة التي احتلوها باسم "ارض افريقيا" " Terre Africa" وأطلقوا على سكانها اسم "أفري" "Ifri" ومفرده "أفر" "Afer" قاصدين بها القرطاجيين وسكان الكهوف من السكان الأصليين. ولقد ذكر لهذا الاسم عدة اشتقاقات؛ فظن البعض أنها جاءت من (aprica apricus) أي المنطقة الحارة[57]، وقد أطلقت هذه التسميات عند الرومان على سكان شمال افريقيا "أفريكانوس"، وهناك من يرى بأنها كلمة محلية مأخوذة من "الإفري" وهو يدل على من سكنوا الكهوف والمغاور[58] اعتبارا بأن افرن كلمة امازيغية تعني الكهف، وهناك من يرجّح ان أصل تسمية افريقية تعود نسبة الى أفريق بن ابراهيم عليه السلام حسب جوزيف فلافيوس[59]، ويرى ليون الافريقي أنه سميت إفريقيا نسبة لإفريقش ملك اليمن الذي سكن المنطقة[60].

و لقد أعطيت عدة تفسيرات لكلمة "أفر" "Afer" منها أن جد الأفارقة كان اسمه "أفار" وهو بطل أسطوري، أو ربما هي اسم معبود محلي.

ت- تسمية بلاد البربر:

لقد تعددت الفرضيات حول أصل هذه التسمية، حيث ترجع الى مؤرخي العصور الوسطى الذين حاولوا ايجاد مدلول لها من خلال اصل البربر، فراح بعضهم ينسبونهم الى افريقش[61] الذي وعى اختلاف لغتهم فقال "ما أكثر بربرتكم"، والبربرة هي اختلاط الأصوات غير المفهومة، ويعني ذلك صعوبة فهم اللغات التي يتكلمون بها، فشاعت تسمية البربر منذ القرن السابع، في حين نسب اللاتين البربر الى كلمة باربار (Barbars) المشتقة من اللاتينية والتي تعني الهمجي[62]، ويشير" غزال" " Gsell" إلى ذلك بعبارة "الأهالي المستعصيين على الحضارة"، ويرى مارمول كربخال أن اسم بربر مشتق من البر الذي اطلقه العرب على البلاد قبل ان تكون آهلة ومن ثم سموا سكانها برابرة[63].

ث- تسمية بلاد الأمازيغ:

إن الانتشار الواسع لهذه الكلمة في كامل المنطقة المغاربية جعل "كومس" "Camps" يميل إلى اعتبارها الاسم الحقيقي لسكان المغرب القديم، وهذه الكلمة تعني عند ستيفن غزال"Gsell" النبيل أو الحر، ويرى ابن خلدون أن البربر هم من نسل كنعان بن حام بن نوح عليه السلام وان اسم ابيهم مازيغ، فيقول أنهم من نسل مازيغ من ولد حام بن نوح بن بربر بن تملا بن مازيغ[64]، وتعني الأشراف.

2- أصل سكان بلاد المغرب:

اقترن أصل السكان بتسميات المنطقة، فنجد كما سلف الذكر انهم ينسبونهم الى قبيلة ليبو فسموا بالليبيين وانتسبوا الى جدهم مازيغ فسموا بالأمازيغ، أو الى بر بن قيس فسموا بالبربر، غير أن العديد من النظريات تنافست في أصل سكان المغرب نجد منها:

أ- الأصل السامي لسكان المغرب:

يرى اصحاب هذا الرأي ان اصولهم شرقية عربية حميرية هاجروا بسبب الجفاف وتغير المناخ الى شمال افريقيا عبر الحبشة ومصر واستقروا غرب مصر، وان البربر ابناء سام بن نوح كانوا في شبه الجزيرة موطن الساميين مغشاة بالثلوج في شمالها واليمن مهد الساميين الأولين وعندما قحلت الارض تفرقوا انتقل البربر

الى شمال افريقيا، والحبشة في افريقيا الشرقية، ومصريين في غربها والسودان في افريقيا الوسطى والشرقية[65].

ب- الأصل الحامي لسكان المغرب:

يرى أصحاب هذا الرأي ومنهم ابن خلدون الى ان البربر من نسل مازيغ بن كنعان بن حام، وأنهم ساروا إلى المغرب بعد قتل ملكهم جالوت[66]، ويرى ليون الافريقي أن الافارقة البيض إما اصلهم فلسطينيين هاجرو إلى أفريقيا بعدما طردهم الآشوريين، وهناك من يزعم أن أصلهم سبئيين كانوا يعيشون في اليمن وطردهم الاثيوبيون أو الاشوريون، أما الافارقة السود فإنهم جميعا من نسل كوش بن حام بن نوح، فإما كانوا فلسطينيين فهم من نسل مصرائيم بن كوش وأما إن كانوا من بلاد سبأ وسبأ بن هامة بن كوش[67].

ت- الأصل الهندو أوروبي لسكان المغرب:

يرى أصحاب هذا الرأي ان سكان المغرب أتو من الهند من أولاد يافث واستقروا بالمغرب، ومروا بفارس ثم بالقوقاز واجتازوا شمال أوروبا من فنلاندا إلى اسكندنافيا ثم بريطانيا ثم اسبانيا، واستدل اصحاب هذا الرأي على الخصائص البشرية والحروف والاسماء المشابهة(68).

ويؤيد أصحاب هذا الرأي المؤرخين اللاتين من أصحاب النزعة العنصرية والاستعمارية: مثل هيرودوت يقول عنهم طروادين[69]، كما يقول سالوست السكان الأوائل جيتول وليبيون، قاد هرقل الى المنطقة عناصر ميدية وارمينية وفارسية انطلاقا من اسبانيا، ويضيف ان الميديون والأرمن اختلطوا مع الليبيين بينما اندمج الفرس مع الجيتوليين[70]، بينما يرى استرابون أن الموريين هنود قادهم الى المنطقة هرقل[71]، وذلك ما أورده كذلك ليون الافريقي فيقول ورأي ثالث أنهم كانوا يقطنون آسيا وحاربتهم شعوب معادية ففروا إلى بلاد الاغريق ثم عبروا بحر المورة واستقروا بأفريقيا[72].

ث- الاصل المحلي أو الافريقي لسكان المغرب:

يرى اصحاب هذا الراي أن كل النظريات السابقة جاءت لأهداف سياسية فقد جاءت لتفند النظرية الاستعمارية التي ترى البربر اوربيو المنبت بحكم الصفات البشرية، كما أراد مؤرخو العصور الوسطى نسب

البربر إلى العرب العاربة، وقد ظهر أصحاب هذا الاتجاه بعد تراجع الاستعمار عن افريقيا الشمالية فأخذت المسألة تبحث عن معطيات اكثر موضوعية وذلك باعتماد كل المعطيات الاركيولوجية والانتروبولوجية وقد أفضت النتائج إلى وجود انسان سكن شمال افريقيا منذ ما قبل التاريخ، وان المجتمعات التاريخية في شمال افريقيا القديم هي امتداد لمجتمع الحضارة القفصية[73].

ج- الأصل المزدوج لسكان بلاد المغرب:

تفضي هذه النظرية إلى أن أصل البربر مزيج، حيث تذكر الدراسات الأنثروبولوجية أن الانسان المغربي ينتمي الى عنصرين بشريين متميزين[74] هما الأفريقي والعنصر المتوسطي، اختلطا مع بعضهما في الحافة الشمالية من قارة افريقيا ونتج عنهم المغاربة، ومن ملامح العنصر الافريقي لا تزال ملحوظة في الجهات الجنوبية من هذه المنطقة الا ان سكان الساحل فقدوا الكثير من خصائص العرق الافريقي وغلبت عليهم الملامح المتوسطية، ويذكر شامو أن خليط السكان في ليبيا امتزج فيهم العرق الحامي الإفريقي الأسمر بسلالة الأمازيغ الفاتحة البشرة، ويؤكد كومبس وجود سلالتين تتقاسمان شمال افريقيا من أواخر ما قبل التاريخ بالأخص خلال النيوليتيك، انسان المشتي كان امتداده تلي ساحلي، بينما الانسان القفصي (فجر متوسطي) كان يشغل المناطق الداخلية[75]، فالحضارة القفصية قدرت بالألف الثامنة قبل الميلاد، مواقعها في إقليم التل الجزائري من تيارت إلى قسنطينة وتتعمق جنوبا إلى ما وراء الجلفة[76].

3- سكان المغرب:

أ- النوميد:

ظهر النوميديون في خريطة المغرب السياسية على لسان مؤرخي القرن الثاني ق.م كشعب كبير ذي سيادة على رقعة واسعة من المغرب الأوسط من قرطاجة شرقا إلى نهر الملوية غربا. أما عن أصل المصطلح فقد ورد عن هيرودوت مصطلح "نوماد" "Nomad" الذي يعني البداوة والترحل أي نمط المعيشة، وقد اشار استرابون إلى أنهم تسموا بذلك لأنهم كانوا بدوا أرغمتهم الحيوانات الضارية على ترك الفلاحة وامتهان الرعي، ثم تطورت التسمية فظهرت في المصادر وكأنها تدل على شعب يعيش في شمال افريقيا، أما المصادر اللاتينية فقد أطلقت

اسم (Numidae) على سكان شمال افريقيا إبان حروبهم مع قرطاجة، فيذكر سالوستيوس ان النوميد او الرحل هم امتزاج للفرس بالجيتوليين، وانهم كانوا يسكنون في سفنهم بعد قلبها وقد شبهها المؤرخون بمساكن النوميد الرحل المسماة "ماباليا"، وقد خصَّ سالوست بهذه التسمية المنطقة المجاورة لقرطاجة حتى الملوية[77]، ومنذ عهد ماسينيسا (203-148 ق.م) اصبح يطلق مصطلح نوميدي على سكان البلاد [78].

أما من بين المتأخرين فإن كمبس "Camps" يضع النوميديين شرقي المور بشرق الجزائر من نهر أمباسكا(الواد الكبير) إلى غرب المنطقة القرطاجية . ويضيف أن اسم نوميد اسم أهلي مثله في ذلك مثل الماسيل والمازيسيل وأنه ثلاثي التكوين (ن ، م ،د) ذو جرس سامي ، ثم يرفض أن يكون اسم نبيبه"Nabibh" ، أو نباب "Nababes" أو نباد "Nabades" أصلا للاسم الذي كتب في اللاتينية بصيغة نوميدا "Numida" ويختم بقوله إننا إذن لانعرف لا الاسم الليبي ولا البونيقي المقابل لنوميدا اللاتيني[79] .

ب- المور(Mauri):

وموريطانيا هي ارض المور التي قد تعني الغرب أو المغرب كما سنرى، حيث يقول بلين الذي يقول ويبلغ طول ولاية طنجة 170ميلا. وهي تشمل على القبائل التالية: المور وهم الذين أطلق اسمهم على بلاد "موريطانيا" ويسميهم الكثير من الكتاب "بالموريسي" وكانوا يؤلفون قديما أكثرية السكان ،ولكن تقلص عددهم بسبب الحرب فصاروا أسر قليلة[80].

كما تعد التسمية فينيقية مشتقة من كلمة "ماهوريم" التي تعني اهل الغرب عندهم[81]، ويقابلها في الاغريقية هيسبيريا للدلالة على الجهة الغربية، وقد استعمل الجغرافيون الاغريق هذا الاسم للدلالة على سكان اقصى الشمال الافريقي غرباً ما بين وادي مولوشا (ملوية) والمحيط الاطلنطي، وترجمها الاغريق الى "موريزيا" من النص البونيقي المتضمن لرحلة حنون حول افريقيا الغربية، وقد حرفها الرومان أواخر العهد الجمهوري من النسبة "موروزيوس" إلى "موري"[82]، في حين يروي بطليموس وبيلنوس الى ان موري نسبة الى قبيلة كانت احدى بطون القبائل فيما وراء الملوية الى الغرب، وقد استدل به الرومان عن مملكة بوخوس

الاول وابناءه فيما بعد[83]، أسس الموريون أول مملكة لهم تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد كان ملكها باغا حليف ماسينيسا خلال الحلاب البونية الثانية[84].

كما برزت خلال الفترة الرومانية احلاف قبلية مثل: الباوار (Bavares) يرى البعض أنهم قبائل جبلية كانت تعيش على الزراعة وتربية المواشي، كانوا يسكنون المنطقة الممتدة من التل الوهراني إلى جبال البابور، ويرى البعض الآخر انهم كانوا بدو متنقلين عبر السهوب من نهر ملوية إلى جنوب سطيف، كما نجد أيضا قبائل البقواط (Baquates) الذين ورد ذكرهم كثيرا في المصادر الأدبية على أن موطنهم ما وراء الملوية وانهم كانوا في صراع مع حكام الولاية الطنجية الرومانية[85].

أما أثناء فترة الاحتلال الروماني فإن هذا المصطلح كان يقصد به اسم سكان الخاضعيين للرومان في ولايتي موريطانيا (القيصرية والطنجية).

ت- **الجيتول (Gaetulii):**

وهو اسم يطلق على سكان السهوب الواقعة في المنطقة الانتقالية ما بين التل والصحراء، ويقومون على حياة الرعي والبداوة، ويمارسون الزراعة في بعض المناطق احيانا. وقد ظهر هذا المصطلح في نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، ويظهر من مقتطفات المصادر اللاتينية واليونانية أن بلاد الجيتول كانت تبدأ من المحيط الأطلسي الى فزان (اقليم طرابلس غرب قورينة)، وكانوا جبليين رعاة اشداء وانهم أحفاد مربي الابقار الذين عرفهم العصر الحجري الحديث، وتقول هذه المصادر انهم ألفوا الانتقال نحو الشمال عبر العصور[86]، ويذكر محمد البشير شنيتي أنهم من الناحية الأنثروبولوجية يمثلون الحد الفاصل بين الجنس الزنجي الافريقي وبين الجنس الابيض المتوسطي في شمال افريقيا[87]، وأنهم تميّزوا بكونهم رعاة ممتازين ومحاربين أشداء، وأنهم شكلوا مرارا وتكرارا مقاتلين في الجيوش القرطاجية والرومانية[88].

وظل الجيتيليون يكونون مصدر قلق للسلطة الرومانية، وخاصة ضد المؤسسات الزراعية في الأقاليم التي ألفت القبائل الجيتولية الانتجاع فيها، وقد بذل الرومان جهودا مضنية للحد من تحركاتهم الجماعية فشتتوهم ووجهوا تنقلاتهم وعملوا على امتصاص اليد العاملة منهم ،كما استفادوا من شجاعة رجالهم في

تغذية فرق الجيش المساعدة وهو ما تؤكده الوثائق الاثرية. فهم بهذا الوصف كانوا يمثلون خزانا بشريا ثمينا لا ينضب معينه في نظر القادة العسكريين الرومان، وكان الجيتوليون قد ظهروا في جيش حنبعل القرطاجي خلال الحرب البونيقية الثانية [89]،كما ورد ذكرهم في جيش ماريوس ولدى اتباع بومبي في افريقيا خلال الحرب الأهلية الرومانية.

ث- الموزولامي (Musulami):

كانت قبائل المزولامي من أكثر القبائل الليبية شهرة وصلابة عود، وقد ورد ذكر أخبارها في النصوص الأدبية والوثائق الأثرية بكثرة [90] . وقد اقترن اسمها بالمقاومة الأولى التي واجهة حركة التوسع الروماني نحو الداخل النوميدي اذ قاومت جيش الاحتلال سنتي 5-6م ، وتواصلت انتفاضاتها ضد الاستعمار الروماني في وطنها بمنطقة الاوراس ، واشهر جهودها في المقاومة تلك المساهمة الكبرى التي شاركت بها في ثورة تاكفاريناس الشهيرة (17-23)م ، وظلت طيلة فترة الاستعمار الروماني تقاوم بإصرار حتى اعتبرت اكثر القبائل النوميدية ايذاء للرومانفي نظر المؤرخين.

غير أنه يصعب التمييز بين قبائل الجيتول والنوميد، ومن ثم لا يمكن وضع الموزولامي في وصف أو اخر، ثم إن النقوش اللاتينية ميزتهم عن الجيتوليين اذ لم ترد فيها نسبة شخص للجيتوليين بحيث اختصرت نسبة الشخص في هذه النقوش على قبيلته لا غير، ثم إن الجيتوليين أنفسهم يعدون نوميديين في الناحية الشرقية وموريين في الناحية الغربية، ومن ثم فلموزولامي نوميديون اذا اعتبرناهم مماثلين للجيتوليين من الوجهة السياسية والادارية، حيث أن رواة ثورتهم ضد الرومان لم يميزوا بينهم وبين النوميديين لأن حركتهم ذات طابع سياسي، في حين ضمهم المؤرخون المحدثون الى صف الجيتوليين استنادا الى تماثل انماط المعيشة لدى كل من الموزولامي و الجيتوليين[91].

ج- التحنو(Thny):

لقد ورد اسم تحنو في نصوص "رعمسيس الثالث"، إلا أن ذكر "التحنو، أو تحنى" "Tjehnu, Thny" قد جاء في النقوش المصرية منذ فجر التاريخ المصري، وأقدم اشارة اليهم ترجع إلى عهد الملك "العقرب"، اذ كتب

اسم بلادهم على أثر يصور أسلابا أحضرت من هناك، ثم من عهد الملك" نعرمر" "Narm"، ومنذ الدولة القديمة حتى السرة الثامنة عشرة كان سكان تحنو يذكرون باعتبارهم "حاتبوعا" "Hntyu-ca" وهو لفظ كان يطلق على الأمراء المصريين، وبذا فإن "تحنو" اسم منطقة جغرافية وليس اسما لقوم، هذا وقد ذكرت بلاد "تحنو" كذلك على أثر من عهد الملك "منتوحتب" "نب حتب رع" من الأسرة الحادية عشرة، إلى جانب قومي النوبيين والأسيويين، كما جاء ذكرهم في قصة "سنوهى" بأنهم الذين يسكنون بلاد تحنو، ويرى الدكتور أحمد فخري أن كلمة "تحنو" قد استعملت منذ الأسرة الثانية عشر للسكان، كذلك، وذلك حين فقدت كلمة تحنو معناها الأصلي [92].

أما موقع بلادهم غرب مجرى النيل والدلتا حسب مختلف النصوص وتتوغل جنوبا حتى فيوم مصر، كانت لهم صفات تؤكد قرابتهم للمصريين مثل لون البشرة الضاربة للسمرة والقامة الطويلة، والشعر الأسود الغزير المسترسل والوجوه النحيفة، ما جعل بعض العلماء يرجعون أصل التحنو إلى المصريين[93]، وورد ذكرهم في نصوص رمسيس الثالث (1194-1162 ق.م) على أنهم هدّدوا مصر من الجهة الغربية وأنهم تحالفوا مع خمسة من شعوب البحر[94].

ح- التمحو (Tamehou):

ورد اسم التمحو في نصوص رعمسيس الثالث كما ورد اسم تحنو ولكنهم مختلفون عنهم تماما من حيث الشكل ، ولابد أن هؤلاء الذين كانوا يسكنون شمال أفريقية وصحراء ليبيا كانوا معروفين لدى المصريين قبل أن يظهر اسمهم في النصوص المصرية، ذلك لأنه في عهد الأسرة الرابعة قد عرف أفراد ينسبون اليهم مثلوا على الأثار المصرية[95].

وقد استوطنوا الواحات الغربية المصرية، ومن المحتمل أنهم قد استوطنوا الصحراء وهاجروا بعد الجفاف نحو النيل، تميزوا ببياض البشرة والشعر الأشقر والأعين الزرقاء[96]، لهم لحي مدببة ظفر شعرها حول الفكين في شكل عقد خفيف، تسترسل شعورهم من الرأس إلى الوراء، مع وجود خصلة قصيرة متدلية

أمام الأذن في شكل حلزوني صوب الكتف[97]، كان أول ذكر لهم في النصوص المصرية في عهد بيبي الأول احد ملوك الأسرة السادسة، وقد ورد أن علاقتهم بالمصريين كانت وثيقة حيث شكلوا فرقة في الجيش المصري[98].

خ – المشواش (Meshwesh):

المشوش أو المشواش "Meshwesh " احدى الشعوب التي ذكرت في نصوص رعمسيس الثالث، وهم قوم ليبيون، وحّدهم (بروكش) كما يذكر جاردنر بقوم (الماساي) والذين قال عنهم هيرودوت انهم في حدود تونس، وهم يكونون احدى القبيلتين الهامتين "المشوش والليبيين" في البلاد التي أصبحت تعرف باسم "ليبيا" بصفة عامة، وأن هناك أشياء كثيرة مشتركة بين الليبيين والمشوش مما يثبت أنهما من نفس الجنس[99]. كما يرى الباحثون أنهم استوطنوا شمال الصحراء الليبية وامتدت مضاربهم غربا حتى قرطاجة[100]، وقد يكون ذلك دلالة على ان اسم المشوش هم الماكسيس الذين اشار اليهم هيرودوت[101]، وقد حاولوا الاستيطان في مصر ولكنهم فشلوا فأقاموا حاميات على الحدود معها، وانخرطوا في جيوش المصريين كمرتزقة مقابل أراضي زراعية[102].

هذا وقد عرف المغرب العديد من الشعوب الوافدة للمنطقة مثل الفينيقيين والإغريق والرومان والوندال والبيزنطيين وغيرهم من دول الجوار مثل المصريين والايبيريين.

المحور الثالث: الليبيين وعلاقتهم بالعالم القديم

I.علاقة الليبيين بالمصريين:

لقد لعب الموقع الجغرافي دوراً حاسماً في طبيعة العلاقة بين مصر وليبيا .. فبالنسبة للمصريين القدماء كانت ليبيا هي أرض الغرب، وإليها نسبوا منذ فجر التاريخ القبائل الليبية ودونوا أسماءها في أثارهم، والغرب في نظر المصريين هو ما يقع مباشرة غرب وادى النيل ويمتد حتى المحيط الأطلسي.

ويجب أن ينظر الى أهمية هذا الموقع على أنه من نتاج تفاعل عوامل متعددة من أهمها المناخ والموقع الذي يربطه بعالمين مختلفين عالم البحر الأبيض المتوسط بثقافاته وتراثه، وعالم الصحراء، وما يتضمنه من إمكانيات. فمنذ بدايات التاريخ كانت الحدود الشرقية لليبيا القديمة تمتد شرقاً حتى ضفاف نهر النيل، وقد أدى ذلك إلى أن تصبح منطقة غرب الدلتا وغيرها من المناطق الواقعة على طول الضفة الغربية لنهر النيل وبحكم موقعها على الحدود الفاصلة بين مصر وليبيا، مكاناً لاستقبال المؤشرات الحضارية القادمة من شمال أفريقيا والصحراء[103].

أشارت الأدلة التاريخية إلى وجود اتصال بين غرب الدلتا وبين شرقي ليبيا، ويظهر الاحتكاك بوضوح في الواحات الليبية المجاورة للحدود المصرية، حيث كان اجتياحهم للأراضي المصرية بسبب المجاعة التي نتجت عن الجفاف المتزايد الذي أصاب المنطقة الليبية منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وهذه العلاقات تأرجحت بين سلم وحرب[(104)].

1.علاقات سياسية وعسكرية:

كان التواجد الليبيين واضحا ومكثفا في الفيوم ووادي النطرون الواحات الداخلية والخارجة و سيوة. فنحن نجدهم ممثلين على الآثار المصرية كشيوخ لقبائل من هذه البقاع وهم يقدمون الجزية للفرعون، في إشارة واضحة إلى أن هجرات الليبيين نحو مصر كانت في كثير من الأحيان سلمية، هذا على الرغم من أن المصادر تشير إلى حدوث الكثير من المظاهر العدوانية التي كانت تؤدي إلى مناوشات مما أستدعى معه اقامة التحصينات لمنع تدفق القبائل الليبية نحو مصر[(105)].

حيث تظهر المصادر المصرية المناوشات بين الشعبين في فترات متعددة فقد عثر على إشارات تدل على حروب المصريين مع الليبيين في بداية الأسرة الثالثة في عهد الملك نفركرع، وفي عهد الملك سنفرو في الأسرة الرابعة (2778-2723 ق.م) أسر أكثر من ألف أسير من الليبيين حسب ما يظهر من لوح بالرمو عدد الأسرى والغنائم التي حصل عليها والتي قدرت بـ10000 أسير و13100 من رؤوس الماشية[106]، كما ورد في نص ساحورع (2498-2479 ق.م) ثاني ملوك الأسرة الخامسة الذي دوّن غنائمه من الماشية بعد انتصاره على الليبيين على جدران القاعة الكبرى في معبده الجنائزي[107]، وجاء في نصوص مقبرة أبيدوس أن القائد "وني" في عهد الملك بيبي الأول ثالث ملوك الأسرة السادسة قاد جيشاً ضد بدو آسيا وقد ضم جيشه فرقة من التمحو[108].

وتذكر المصادر أن الليبيين كانوا يتجهون إلى ضفاف النيل بعد الجفاف الذي عرفته البلاد الليبية منذ الالف الثالثة قبل الميلاد ما يعاصر الفترة الممتدة من الأسرة السادسة إلى الاسرة الثانية عشر[109]، وفي عصر الدولة الوسطى (2133-1786 ق.م) نجد قصة سنوحي الذي ورد فيها ذكر سنوسرت الأول (1971-1928 ق.م) الذي خرج ليؤدب قبائل الليبو ويبعدها عن الحدود المصرية[110].

أما في عهد الدولة الحديثة (1567-1085 ق.م) ففي عهد الملكة حتشبسوت (1503-1482 ق.م) والملك تحوتمس الثالث (1504-1450 ق.م) حصلت مصر على جزية كبيرة من الليبيين من العاج وانياب الفيلة وجلود الفهود الجنوبية، كما قام سيتي الأول (1318-1304 ق.م) بحملتين على الليبيين اللذين قاموا بهجمات لاختراق الحدود الغربية لمصر، كما قام رمسيس الثاني (1304-1237 ق.م) بصد هجمات الليبيين وإقامة سلسلة من الحصون على طول الحدود الغربية، كما ورد في بردية هاريس التي تروي تفاصيل هجومات قبائل الليبو على الدلتا، وتبين لوحة حابو بطيبة الغربية لرمسيس الثالث (1198- 1166 ق.م) هجوم المشواش على الأراضي المصرية[111]، وقد كان الفراعنة يفتخرون بتدوين تفاصيل انتصاراتهم على الليبيين والغنائم التي أحرزوها، وقد تسلل الليبيون بأعداد هائلة لمصر واستوطنوا في الواحات الغربية مثل طيبة.

كما تدخل الليبيون وخاصة سكان منطقة غرب الدالتا مباشرة في دور عدم الاستقرار على اثر الهجرات الهندو اوروبية التي أخذت تجتاح كل بلاد الشرق القديم وشرق البحر الأبيض التوسط وتتحد فروع من هذه الشعوب المهاجرة مع القبائل الليبية وبذلك يزداد ضغط هذه القبائل على الجبهات الغربية للدالتا المصرية مهاجمة مصر بهدف الاستقرار[112] . على الرغم من كل وسائل المراقبة الحدودية خاصة مع نهاية الأسرة 20، وهم من تسببوا في انهيار الدولة الحديثة[113]، وقد استقروا واندمجوا في حواشي الفئة الحاكمة حتى تمكنوا من انتزاع السلطة العليا في مصر وجلسوا على عرش الفرعون، وتوارثوه مشكلين أسرات ملكية[114] فنزحوا إلى الفيوم وأسسوا الأسرة الثانية والعشرون تحت حكم الملك شيشنق، والأسرة الثالثة والعشرون[115].

2.علاقات حضارية:

وهنا لابد أن نركز على شكلها الحضاري المتمثل في اللقاءات الباكرة وتأثيرها على العلاقات اللوبية المصرية، حيث شهدت منطقة بلاد المغرب القديم هجرات بشرية، وغزوات عسكرية واسعة تركت وراءها آثارا على البلاد، حيث لم تكن العلاقات الحضارية وليدة ظروف عابرة أو نظم سياسية ،بل كانت أعمق من ذلك بكثير لأنها كانت عبارة عن تواصل حضاري استمد شواهده من مخلفات البصمات التي تركها الانسان في المنطقة بكاملها.

كما تعد العلاقات الحضارية بين الليبيين والمصريين نتاجا للعلاقات الاقتصادية والتي تمثلت في أغلب الأحيان في التجارة حيث ذكرت المصادر المصرية بوضوح أن الليبيون كانوا يأتون ببضائع هامة تصل إلى خزينة الفرعون، دون أن تذكر إذا كان ذلك يحصل بفعل المقايضة التجارية أو بالمصادرة أو بالتغريم أو بأي شكل آخر[116]، كما ورد أنهم كانوا يحصلون على النيطرون من المناطق التي كان يسكنها التمحو والتحنو، كما ذكروا أنهم كانوا يحصلون على زيت الزيتون من الدرجة الأولى من الليبيين[117].

أما عن الديانات التي اعتنقها السكان في بلاد المغرب القديم من خلال تنوعها اختلافها وكثرتها، حيث يرى المؤرخون التشابه في بعض المعتقدات الدينية منها عبادة آمون برمز الكبش حامل القرص بين قرنيه، وقد تأكدت صلتها ببعضها البعض، ولكن اختلف في أصل عبادته، وهناك من يرى بأن عبادته وفدت إلى

مصر عن طريق الليبيين الذين انتشروا في مصر في وقت مبكر من قيام الحضارة المصرية(118)، كما يرى البعض كذلك أن الإلهان "حا" و"آش" من أصول ليبية[119]، وقد ذكر هذا الإله في نقوش ساحورع أحد ملوك الأسرة الخامسة على الرغم من أننا لا نعرف شيئا عن قدرته ولا صفاته[120].

ومن التأثير الديني الذي نلمسه في الليبيين على حد قول هيرودوت انهم كانوا يحرمون أكل لحم البقرة تقديسا للإلهة المصرية إيزيس التي كانت تمثل رمزاً لها، كما حرم نساء برقة أكل لحم البقر والخنزير مثلهم مثل المصريين القدماء[121]، كما ان الإلهة "نيت" معبودة الدلتا الغربية أصلها ليبي، وان الليبيون كانوا يتزينون برمزها المقدس في شكل وشم على أذرعتهم كما صورتهم النقوش المصرية القديمة[122].

ومن خلال الدراسات اللغوية القديمة، أكد بعضهم بأن هنالك تشابه بين لغة سكان المغرب القديم، ولغة المصريين، وباقي العرب، وهذا بطبيعة الحال يؤكد بأن تلك اللغات ترجع الى لغة قديمة واحدة ومما يجب الإشارة اليه بعض اللهجات البربرية لازالت حية في بعض أماكن بلاد المغرب، لاسيما في المناطق الجبلية المنعزلة، إذ إن شرق الجزائر تعد أشهر المناطق التي لازالت تستعمل اللهجتين القبائلية والشاوية .

II.علاقة الليبيين بالفينيقيين :

1.علاقات سياسية:

الفينيقيون شعب سامي موطنهم الأصلي شبه الجزيرة العربية وهم كنعانيون من الفرع السامي الغربي الذي حلّ ببلاد الشام منذ بداية الألف الثالثة قبل الميلاد، وقد أطلق عليهم الحوريون لقب كنعانيين (Kanaggi) بمعنى الصباغة الأرجوانية في لغتهم، ولغتهم سامية كنعانية.

وفي مطلع القرن الثاني عشر قبل الميلاد أطلق عليهم الإغريق اسم (Phoinix) التي تعني هي الاخرى الصباغة الارجوانية التي اشتهروا بها، أما أمم الشرق الأدنى فكانوا يلقبونهم بالكنعانيين نسبة للبلاد التي كانوا يستوطنونها وهي كنعان (الأرض المنخفضة)، فاستوطنوا لبنان ومرفأي صور وصيدا وأنشأوا اسطول بحري ومارسوا التجارة ووسعوا علاقتهم التجارية مع مصر وبلاد الرافدين من جهة، ومع الاقوام المقيمة في سواحل وجزر الحوض الشرقي للبحر المتوسط من جهة أخرى[123].

وقد حدد تاريخ الفينيقيين شكل حضارتهم، فالعبور المستمر لتلك الشعوب الكثيرة، وتفاعلها بعضها مع بعض أديا إلى صورة مختلطة من الحضارة ، تتكون من عناصر متباينة عديدة، وقد غلب الأثر السامي بفضل ما أسهمت به الشعوب السامية في سوريا وفلسطين من ناحية، وما أسهم به البابليون والأشوريون من ناحية أخرى، فقد جلب هؤلاء أهم عناصر حضارتهم إلى كنعان خلال زحفهم المتصل والمستمر نحو البحر الأبيض المتوسط.

وقد اتجه الفينيقيون غربا لاكتشاف الكثير من السواحل الغربية للبحر الأبيض المتوسط وذلك منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد، أي بعد انتهاء غزوة شعوب البحر المدمرة التي اجتاحت بلاد الإغريق وآسيا الصغرى ثم الساحل الفينيقي، وبسقوط البحرية الإيجية انفتح الفينيقيون على البحر للمتاجرة مع كل الشعوب المحيطة بشواطئه الشمالية والجنوبية، فأسسوا العديد من المستوطنات في سردينيا وصقيلية وجزر الباليار ومالطة وفي شمال افريقيا، وما يهمنا هنا المستوطنات التي تأسست في المغرب القديم وأقدمها ليكسوس (Lixus) في سنة 1110ق.م على سواحل المحيط الأطلسي، واتيكا (Utique) في سنة 1101ق.م في

شمال تونس بالقرب من مصب نهر مجردة، وأخيراً قرطاجة (Carthage) على الاغلب في سنة 814 ق.م في خليج شمال تونس[124].

وقد بقيت هذه المحطات لمدة ثلاثة أو أربعة قرون في حالة تردد، يسودها عدم الاستقرار، مما يظهر نية الفينيقيين في عدم البقاء في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط عندما تنتهي مهمتهم التجارية المتعلقة بالوساطة بين شعوب المنطقة والشعوب المصنعة في شرقي المتوسط. وعدم الاستقرار والتردد جعل الفينيقيين لا يتركون بصماتهم في مراكزهم الباكرة (كالمقابر مثلا)، وبالتالي تصبح معلومات الباحثين مبنية على التخمين، وهو ما جعل بعض المؤرخين يستنتجون أن الفينيقيين أنفسهم عندما يشعرون بتقدم السن يعودون إلى الوطن الأم حيث يدفنون، وهو ما يفسر عدم توفر مقابر فينيقية في شمال إفريقيا سابقة للقرن الثامن قبل الميلاد.

وعلى العموم فإن الغرض من تأسيس المستوطنات في بلاد المغرب من قبل التجار الفينيقيين لم يكن لأغراض اقتصادية فقط، بل كان الهدف استراتيجي تمثل في الحصول على منافذ بحرية لمواصلة رحلاتهم الاستكشافية والسيطرة كما حصل بعد أن هيمنت قرطاجة في البحر الأبيض المتوسط وباتت سيدة البحر الأبيض المتوسط بلا منازع، والاستيطان مقابل الريع الذي فرض على قرطاجة يبين علاقة مصالح مشتركة بين الطرفين[125].

كما رحب اللوبيين في بدية الأمر بالتجار الفينيقيين الذين وفدوا إلى بلادهم وذلك نظرا لأهدافهم السلمية التي كانت لا تتعدى إنشاء مراكز تجارية تتم فيها المبادلات، ونظرا لهوية الفينيقيين السلمية فقد قبلوا دفع ضريبة مالية سنوية للوبيين عربونا للصداقة وريعا للمكان الذي أسسوا فيه مدينتهم الجديدة، وقد دام ذلك من بداية تأسيس قرطاجة حتى القرن الخامس قبل الميلاد[126].

ومنه نستنتج أن العلاقات بين سكان المغرب القديم والوافدين الجدد من الفينيقيين قبل القرن الرابع قبل الميلاد مبنية على التعاون السلمي والاتصال الحضاري والاقتصادي[127]، أما بعد هذه الفترة المشار إليها تغيرت سياسة قرطاجة وباتت استعمارية وأرادت ان تعطي للزراعة مكانتها اللائقة، وبدأت بسياستها

المتمثلة في "الاتجاه الافريقي"، وبدأت تصطدم بالمغاربة القدماء لأن اكتسابها أراضي جديدة خارج رأس بونة كان على حساب السكان الأصليين، وقامت كذلك بقطع الضريبة التي كانت تدفعها للمغاربة، وبالمقابل أصبحت تفرض عليهم ضرائب جديدة وتجند المرتزقة من أبناءهم.

غير أن قرطاجة باتباعها لهذه السياسة كانت قد أساءت إلى حلفائها اللوبيين وفتحت أعينهم على التمرد والعصيان في بداية الأمر، وبالتالي التفكير في التخلص من سيطرتها[128]، وحتى تدميرها.

كما عملت قرطاجة على ابتلاع الكثير من الأراضي الخصبة الليبية والنوميدية، ولم تكتف بالشريط الساحلي بل تسربت إلى الداخل لتقيم مزارع لأرستقراطيتها التي باتت مهددة في صقلية[129].

وفي أخر أيامها سلكت قرطاجة في علاقتها مع المغاربة القدماء سياسة مسك العصى من الوسط. وذلك من بين الأسباب التي جعلت بعض حلفائها المغاربة ينقلبون ضدها في كثير من الأحيان ، ويرتمي البعض في أحضان أعدائها وهو ما جعلها لقمة سائغة بالنسبة للرومان[130].

2.علاقات حضارية:

تعد أول اشارة إلى تلك العلاقات تكمن فيما ذكره المؤرخ الاغريقي تيمي "Timée" والتي نقلها عنه فيما بعد جوستان" Justin" في مختصر تروق بومبي" Trogue pompée". ويستفاد من تلك الكتابات أو ماعرفت بأسطورة عليسا "Elissa" أن المغاربة القدماء كانوا في بداية الأمر قد رحبوا بالتجار الفينيقيين الذين وفدوا إلى بلادهم وذلك نظرا لأهدافهم السلمية التي كانت لا تتعدى إنشاء مراكز تجارية تتم فيها المبادلات[131]. حيث تميّز الفينيقيون بروح الانفتاح على الأقوام الأخرى فنجم عن ذلك اندماج العناصر البشرية المختلفة الأعراق فأصبح المجتمع ينعت بالمجتمع الليبي- فينيقي، واستطاعوا إقامة موانئ ومدن تجارية[132]، في المغرب القديم هي كالتالي: هيبو (عنابة)، روسيكادا (سكيكدة)، شولو (القل)، أجلجلي (جيجل)، صلدا (بجاية)، أيومنيوم (تيغزيرت)، روسوكورو (دلس)، رسغونيا (برج البحري)، إكسيوم (الجزائر)، تيبازة، ايول (شرشال)، قنونو (قبة سيدي إبراهيم غرب شرشال)، قرتنة (تنس)، المرفأ الكبير (بطيوة)، بورتوس ديفين (مرفأ وهران حاليا)، سيغا (تخمريت)، راشقون[133].

وبتقادم الزمن آلت بعض المراكز الفينيقية إلى مستوطنات ومدن قارة لها حرية السيادة في نطاق المنظومة العامة القرطاجية. و قد تجمع حولها المغاربة لتسويق بضاعتهم المحلية[134].

وقد أشار هيرودوت عن المقايضة الصامتة التي كانت بين المغاربة وبين الفينيقيين[135]، حيث كانت بلاد المغرب القديم تمد الفينيقيين بالمواد الأولية كالتبغ والاحجار الكريمة والصوف والجلود وريش النعام وبعض الحبوب، وتأخذ بالمقابل المواد المصنعة كالمجوهرات والعطور وغيرها[136].

ظل المجال الزراعي في المغرب القديم مكتفيا على الدوام، يعيش على امكانياته التي توفرها الأرض بسهولها الخصبة وطبيعتها المتنوعة، ولذلك ظل السكان في هذه البلاد لا يكاد يبرحونها جيلا بعد جيل[137]. كما جلب الفينيقيون معهم أنواعا من الأشجار مثل التفاح والرمان، كما جاؤوا ببعض البقول مثل الحمص والعدس والفول، بالإضافة إلى إدخالهم طرق جديدة في تحسين النوعية والكمية، مثل التأبير والتطعيم[138].

أما عن الجانب الديني والعقائدي كانت بلاد المغرب مسرحا لتلاقي معتقدات وثقافات مختلفة فاعتنقوا معبودات فينيقية وتمسكوا بتقديسها وممارسة الطقوس الدينية لها، وتتجلى مظاهر الامتزاج الديني والروحي بين المجتمعين الفينيقي والمغاربي على سواء في الأسماء المشتقة أو المركبة من أسماء الآلهة أو من صفاتهم، حسب ما يظهر من الأسماء المنقوشة على الأنصاب، فقد ظهرت الألقاب الكنعانية والآلهة الفينيقية، كانوا يرون فيها البركة والفأل الزين والتقرب من المعبود والاحتماء به مثل: عبد شمون، حنبعل (مختار بعل)، مطون بعل (هبة بعل)، حانو (المفضل)، عبد ملقرت (عبد ملك القرية أو عبد رب المدينة)، وقد حمل أبناء ماسينيسا من هذا القبيل مثل أذربعل، صدربعل، مستنبعل[139].

III.علاقة الليبيين بالإغريق:

1.علاقات سياسية وعسكرية:

لقد سبق الإغريق الفينيقيين في إنشاء المراكز التجارية في غربي البحر الأبيض المتوسط، حيث يعود تأسيس المستوطنة الأولى للإغريق إلى المهاجرين الثيريين في أواخر القرن السابع قبل الميلاد، وهي المستوطنة المعروفة ب "قورينة".

وقد أشارت الكتابات الإغريقية إلى وجود هجرات قادمة من بلاد الاغريق نحو بلاد البربر، مثل هيرودوت الذي يروي أن سكان شمال افريقيا كانوا طروادييين[140]، بينما يشير استرابون إلى ان المور جاؤوا مع هرقل إلى المنطقة[141]، كما يذكر سالوست أن هرقل قاد جيشا إلى المنطقة يتكون من الميديين والارمن والفرس وأن السكان اختلطوا بهم وأعطوا تركيبة بشرية هجينة[142].

كل هذه الآراء التي تتحدث عن هذه الهجرات والعلاقات الإنسانية بين شمال المتوسط في مناطق صقلية وبلاد الإغريق وعلاقتها بالضفة المتوسطية الجنوبية أي بلاد المغرب القديم، تؤكد فكرة وجود علاقة بين بلاد الإغريق والساحل الافريقي خاصة منه الشرقي (برقة حاليا) وهذا لقربها منها[143]؛ فالمنطقة الممتدة من خليج السلوم بغربي مصر إلى السيرت الكبير في ليبيا هي المنطقة الأكثر قربا من بلاد اليونان[144]، وهذا ما يفسر قيام أول مستوطنة إغريقية في شمال افريقيا بها وهي قورينة (Cyrène) في سنة 631 ق.م، ويذكر فرنسوا شامو أن الوجود الاغريقي في شمال افريقيا كان قبيل منتصف القرن السابع قبل الميلاد[145].

وقد أسس الإغريق الدوريون أولى مستعمراتهم في بلاد المغرب القديم وتزعمها باتوس الذي حكم مدة أربعون سنة في ارضي قبيلة الاسبستي (Asbystae)، وتروي الأسطورة أن ذلك تم اقتداءً بالأسطورة التي تقضي أن الإله أبولو شغف بفتاة إغريقية اسمها قورينة (Kurana) فراح يجري وراءها من بلاد الإغريق إلى ليبيا وتزوجها[146]، وربما استوطنها الاغريق لأنها الإقليم الوحيد الذي كان مألوفا لهم، فقد بدا لهم أنها ليبيا برمتها[147].

وقد كانت العلاقات بين الإغريق الوافدين وبين السكان المحليين في البداية سلمية ، فقد رحب بهم السكان، ونشأت بينهم علاقات صداقة أدت إلى التصاهر، وتزوج شباب الإغريق من الليبيات، ولكن مع زيادة

الإقبال على هذه المناطق، وتضخم سكان مدينة قورينة، اشتدت الحاجة إلى المواد الغذائية وبالتالي الأراضي المنتجة لها، وهذا أدى إلى توسع قورينة على حساب أراضي الليبيين المجاورة لها، فعكر ذلك العلاقات بين الطرفين من سلمية إلى صراع عسكري، حيث استعان الأسبستي بالمصريين لصد توسع إغريق قورينة، ولكنهم هزموا فتوطّد سلطان قورينة أكثر، ولم تضعفها إلا الصراعات الداخلية التي نشبت بعد وفاة باتوس واستخلاف ابنه الحكم وبطشه بإخوته، ما جعلهم يلجؤون لتأسيس مستوطنة برقة (Barce) في 550ق.م إلى الغرب من قورينة بمساعدة الليبيين المجاورين لها[148].

2.علاقات حضارية:

لقد كان للحضارة الاغريقية تأثيراتها الواضحة على بلاد المغرب القديم والتي شملت العديد من المظاهر الحضارية الاقتصادية والاجتماعية والدينية. والتي كان لها أثرها على التطور الداخلي للمنطقة، والتي ورد ذكرها في المصادر المادية و الأدبية، بداية من الصناعات الحرفية وعلى رأسها الفخاريات سواء المستوردة منها أو المقلدة الصنع، وكذا في مجال الهندسة المعمارية من خلال استعمال الزخارف المعمارية ذات النمط الإغريقي كالتيجان والأعمدة والقواعد، وكذا في المجال الثقافي كتبني اللغة والتعليم الإغريقيين، وعادات وثقافات واستعمالات إغريقية، وصولا للمجال الديني بانتشار عبادات لآلهة إغريقية الأصل. وقد عرفت تأثيرا إغريقيا بداية من الحضارة البونيقية إلى النوميدية والموريطانية ، في الفترة ما بين القرن السابع قبل الميلاد الذي عرف حضورا ماديا إغريقيا هاما وتزامن مع تأسيس مستوطنة قورينة، إلى غاية القرن الأول بعد الميلاد مع اكتمال الاحتلال الروماني للمنطقة.

لقد بدأ الاستيطان الاغريقي في برقة منذ القرن الثامن ق.م. ،وقد اتسمت فترة الاستيطان الباكر (775-675)ق.م. بوصول مستوطنين فرادى بحثا عن اراضي خصبة لاستغلالها بعد أن ضاقت بهم الأوضاع في بلادهم، أما الفترة ما بين(675-550)ق.م. فقد ظهر فيها الاهتمام بالتجارة، وهي الفترة التي شهدت تأسيس مستعمرة قورينة 637 ق.م. فقورينة كانت بالدرجة الأولى مستعمرة زراعية لا ميناء تجاري، بل أنها لا تقع على شاطئ البحر أصلاً، ولم تعتبر منفذا طبيعيا لتصدير البضائع المجلوبة بواسطة القوافل من الواحات، ولكن عقب استيطانها وظهور المدن المكتظة بالسكان صارت تغري القوافل التجارية لارتيادها[149]، ومن هذه المدن

نذكر: "توكرة"، "يوسبيفريدس" (بنغازي) قبل 515 ق.م، طلمثية مقابل مدينة برقة من الشمال استخدمت كميناء لها، أبولونيا (سوسة) أسست كميناء لقورينة، درنة، أنتيبرجوس (طبرقة).

احتكر إغريق قورين إنتاج وتصدير نبتة السيلفيوم "Sylvium" (نبات بري يعتبر علف مسمن للمواشي ومطهر وتابل لذيذ) التي كانت سلعة استراتيجية فترة طويلة لأهميتها الطيبة، وكانت المنتجات الفلاحية والأنشطة التجارية تدر عليهم أرباحا طائلة، وكانت المدن المرفأية القورينية تستفيد من تجارة العبور باعتبارها همزة وصل بين الشرق والغرب[150].

فالعلاقات التي كانت بين الليبيين والاغريق اقتضتها المصلحة الاقتصادية المشتركة، فقد كانت المدن الإغريقية في حاجة للمنتجات الليبية، وما يأتي عن طريقها من داخل ليبيا وأواسط إفريقيا خاصة السودان، كما أن ليبيا لم تستطع الاستغناء على الساحل ومدنه الإغريقية وما يأتيها من وراء البحر[151]، فأبولونيا كانت بمثابة همزة وصل بين المناطق الداخلية الليبية وأواسط إفريقيا من ناحية، وعالم ما وراء البحر من ناحية أخرى، فكانت تصدر إلى جانب القمح الخيول، بالإضافة إلى العبيد والذهب والعاج والتمور والخمور وزيت الزيتون والذرة وريش النعام والمواشي[152]، إلى جانب نباتات االسلفيوم[153]...

كما تأثر الليبيون بالإغريق في الجانب الثقافي مثل الفلسفة والشعر حيث برع فيهم أسماء مثل الشاعر أجاممنون (Agamemnon) الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد، وكليماخوس (310- 240 ق.م)، والجغرافي أراتسثنيس الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد[154].

أما الجانب الديني ووجدت آلهة إغريقية أصلها ليبي مثل ما ذكر هيرودوت عن اله البحر بوصايدون (Poseidon) وأصله الليبي[155]، كما عبد الأوزيين إلهة السماء أثينا، وعبد الليبيون كذلك الإله زيوس آمون إله النبوات[156].

تعد العلاقات الحضارية بين الليبيين و الإغريق علاقة تأثر وتأثير، حيث أخذ الاغريق عن الليبيين عمارة القبور والمعروفة باسم التولوس أو خلية النحل، كما أخذوا عنهم العربات التي تجرها الخيول، فقد أشار هيرودوت إلى أن الليبيين أول من استخدم العربات الحربية بأربعة خيول[157].

المحور الرابع: قرطاجة نشأتها وتوسعها ودورها السياسي في تاريخ المغرب القديم

لم يحظى تاريخ تأسيس قرطاجة المألوف (814-813ق .م) الذي أوردته المصادر الأدبية الاغريقية والرومانية بتأييد جميع المؤرخين المعاصرين، ولقد شعب القالب الأسطوري لقصة تأسيس قرطاجة هذا الموضوع لأنه جعل أننا نجهل بداية تاريخ هذه المدينة لفقدان المعطيات، فلم نعثر إلى حد الأن على نقائش تعود إلى ذلك العهد، ويبدو أن جدولها التاريخي قد أتلف [158].

تأسست مدينة قرطاجة في حوض البحر الأبيض المتوسط من طرف بحارة فينيقيين هاجروا من صور إلى سواحل شمال إفريقيا، وسميت "قرط حدشت" أي المدينة الجديدة، وهو الاسم الذي حوَّله الاغريق واللاتين إلى كارشيدون أو كرخدون[159].

I.تأسيس قرطاجة من خلال المصادر الأدبية:

يمكن توزيع الشهادات الأدبية إلى ثلاثة أقسام هي:

1.القسم الأول: واستند فيه المؤرخون إلى "تيميوس" وهو مؤرخ إغريقي من القرن الرابع ق.م. الذي أورد أن قرطاجة وروما أسستا في السنة الثامنة والثلاثين قبل الأولمبياد الأولى. وقد اعتمد معظم المؤرخين على هذا التقدير في تواريخهم لإحداث العاصمة البونية، سواء أشاروا إلى الفرق الزمني الذي يفصل بين سنتي تأسيس قرطاجة وروما ، أو أوردوا الفترة الزمنية التي عاشتها قرطاجة [160] .

2.**القسم الثاني:** اعتمد على تاريخ تأسيس روما 753 ق.م تاريخ مرجعي، ويذكر أن تأسيس قرطاجة كان قبل تأسيس روما بـ65 سنة فيكون بذلك تاريخ تأسيسها 818 ق.م، وهناك من ذكر أن الفارق بين قيام روما وقرطاجة كان 72 سنة فيكون بذلك زمن تأسيس قرطاجة 825 ق.م[161].

3.**القسم الثالث**: ويمثله افَلُويُوسِ يُوسيفوس وهو مؤرخ يهودي عاش في القرن الأول .م. اعتقد أن قرطاجة أنشئت في العام السابع لحكم بيجماليون ملك صور. وقد استقى معلوماته من ميناندروس الأفسسي الذي قد يكون اطلع على الحوليات الملكية لمدينة صور [162].

II. تأسيس قرطاجة من خلال المصادر المادية:

تتمثل المصادر المادية للتاريخ الفينيقي في غربي البحر المتوسط في البقايا الأثرية التي تركها هؤلاء الاقوام في المواقع التي حلو بها.

يرجع تاريخ تأسيس قرطاجة في الربع الأخير من القرن الثامن - على وجود الفخار الإغريقي(أو الذي يشبهه في الطابع) في الطبقة السفلى للمعبد (قوداش) الذي اطلق عليه اسم "توفاة "، واعتقد أن هذه الأواني تؤرخ كل ما وجد في هذه الطبقة، وبالتالي تؤرخ عهد تأسيس قرطاجة أي بين سنتي 730 و 700 ق.م[163].

ونذكر من بين الشواهد الأثرية الفينيقية في الحوض الغربي للبحر المتوسط تشير الى الوجود الفينيقي قبل عام 750 ق.م فيما عدا كتابة حجر نورا (Nora) التي عثر عليها في جزيرة سردينيا، التي نسب العالم البرايت (Albright) تاريخها الى القرن التاسع قبل الميلاد. وبذلك فإنها ستكون معاصرة لمدينة قرطاجة[164].

كما عثر على شقفات فخارية ترجع الى العهد الهندسي الحديث في سبر أجرى في هذا الموقع سنة 1987. وتمثل هذه الشقفات قطعا صغيرة لثلاثة اسكيفوس وصحن ذي عروة وكوتيل وقع استيرادها من اليونان وخاصة من أوبي، حسب نوعية مادة الطين ما عدا الكوتيل الذي قد يكون صنع في قرطاجة وتعود هذه الأواني حسب م فيجاس إلى الربع الثاني والثالث من القرن الثامن، مؤرخة أحد السكيفوس بين 760 و750ق.م وتعتقد هذه الباحثة أن الصحن وصل إلى قرطاجة قبل 750ق.م. نظرا لاضمحلال هذا النوع بعد هذا التاريخ[165].

إن المعطيات الأثرية الحالية تفيد وجود علاقات تجارية كانت تربط قرطاجة بالشرق الفينيقي من ناحية، والعالم الإغريقي من ناحية أخرى، في الربع الثاني من القرن الثامن، وتشهد على أن تأسيس هذه المدينة حدث قبل تلك الفترة. ولذا فهي تحثنا على أن نثق في التاريخ المتداول (814/813 ق.م.) أو على الأقل في فترة قريبة منه.

III. أسطورة التأسيس:

يمتزج التاريخ بالأسطورة في خصوص تأسيس قرطاجة ، ويرجع هذا إلى أن جل المدن الكبرى القديمة، كأثينا وروما وقرطاج، نسج الخيال حول نشوئها أساطير ترمز بون شك إلى حقائق تاريخية ثابتة. حيث تروي الأسطورة أن قرطاجة تأسست على يد ملكة فينيقية صورية سميت عليسا أو إليستا أو إليشا[166] أو ديدون[167]، ورثت العرش بعد وفاة أبيها "ماتان" (Matan) مناصفة مع أخيها "بقماليون"، هذا الأخير الذي أقدم على قتل خالها وزوجها في نفس الوقت "عاشرباص" كبير كهنة ملقرط، ففرت خوفاً من جشع أخيها بأموال زوجها ومؤيديها الى شمال إفريقيا بعد أن انظم إليها كاهن يونو (Juno) الذي حاز ونسله من بعده على الإشراف الديني في المدينة الجديدة بالإضافة إلى 80 من الفتيات ليكن زوجات لخدمها، وابتاعت قطعة أرض بحجم جلد الثور (Byrsa) [168]، غير أنها كانت ذكية وقطعته إلى شرائط رقيقة مدت مدينتها بطول تلك الشرائط وأسمتها قرطاجة أو "قرط حدشت"[169].

IV.الحياة السياسية:

من المعروف أن المدن الفينيقية الشرقية بقيت من الناحية السياسية مستقلة عن بعضها بعضا، وكل واحدة منها تهتم بمصالحها الذاتية المباشرة، وحول كل منها مساحة من الأرض تكوّن إمارتها أو مملكتها، وهذه كانت عادة صغيرة الحجم، لا تزيد عن الأرض اللازمة لإنتاج الغذاء لحاجة السكان، ولا بد أن المدن الكبرى ولا سيما صور وصيدا، مارست نوعا من السيادة على مدن أخرى في بعض الأوقات على الأقل[170].

ولم تكن مدينة قرطاجة دولة إمبراطورية بمعنى الكلمة، مع أنها أخضعت لسلطانها أكثر المدن الفينيقية الأخرى في الغرب نظرا لتفوقها التجاري والعسكري، فهي لم تنظر إلى هذه المدن على اعتبار أنها ممتلكات لها، ولم تعتبر مواطني هذه المدن مواطنين قرطاجيين، ومن جهة أخرى فإن هذه المدن أصدرت عملتها المستقلة عن عملة قرطاجة كما هو الحال في مدن "صقلية" وفي "قادس" في اسبانيا و" ايبيزا" بالبليار حتى في أوج سلطان قرطاجة[171].

يعد المظهر الوحيد في قرطاجة الذي حظى بإطراء ومديح أباطرة الاغريق والرومان هو دستورها السياسي الذي يبدو أنه كان يكفل لها الاستقرار، وهو مطلب عزيز كانت تنشده المدن في العصور القديمة[172]. حيث

مرّ النظام السياسي في قرطاجة بمراحل مختلفة من حيث السيطرة على الاقليم والمهام والصلاحيات، فأصحاب النظرة التطورية يرون في قرطاج نموذجا مماثلا للمدن الدول الاغريقية انتقلت من ملكية الحق الالهي الى الديمقراطية وتوازن السلطات، وقد استند هذا الرأي الى تطور السلطة التنفيذية من الملكية الى الحكم الثنائي للسبطين المنتخبين وتطور السلطة التشريعية الى توازن بين تمثيلية الارستقراطية في مجلس الشيوخ والعامة في مجلس الشعب.

1.نظام الحكم:

نهجت قرطاجة منذ تأسيسها وحتى القرن السادس قبل الميلاد سياسة المدينة الدولة فكانت نسخة طبق الاصل للوطن الام (الساحل الفينيقي)[173]، ولدينا نقش من جزيرة مالطة يدل على أن هذه الجزيرة كان لها كيان سياسي مستقل. يحكمها نظام الشوفيط (Suffètes) وفي مدن أخرى مثل "ثاروس" " وقادس"[174]. مما يدل على ان لكل من المستوطنات كيانها الخاص في نطاق الكيان القرطاجي العام الذي يشمل الدفاع والتحالف العام فيما بين هذه المستوطنات[175].

وقد ورد ذكر حكم الاسر منذ القرن السادس قبل الميلاد فقد آل الامر في قرطاجة الى حكم الماغونيين[176] التي دام حكمها قرابة ثلاثة أجيال (ماغون نفسه: وابناءه صدر بعل هملكار، ابناء صدر بعل حنبعل صدربعل سافو، ابناء هملكار خملكان حنون جيسكون)، وفي هذه الاسرة ظهر مجلس الشيوخ كطرف في الحكم الى جانب الملك، وقد اعتبر ذلك من قبيل الجمع بين السلطتين العسكرية والسياسية في إطار ملكية وراثية[177].

وفي منتصف القرن الخامس قبل الميلاد اسقطت الاسرة الماغونية التي كانت تعتمد على الارستقراطية البحرية، واستبدل الحكم بالشفطان، وتوالت على حكم قرطاجة اسرة الحانونيين، وقد حكمت حتى 308 ق.م، وكل الذي نعرفه عنها اسم آخر ملوكها "بوميلكار" (Bomilcar)[178]، وبعد قرنين من حكم الحانونيين اعتلت الحكم في قرطاجة اسرة البرقيين (Les Barcides)[179]، وتشير الكتابات التاريخية إلى أن الحكم في هذه الاسرة كان ذو صبغة عسكرية أكثر منها مدنية[180].

وقد كان لقرطاج دستور نوه به الفيلسوف اليوناني أرسطو، وبه تنتظم الحياة السياسية بالانتخاب، والحياة الإدارية بالقانون. والحياة الاجتماعية بسلطات تشريعية وقضائية وتنفيذية. ويقوم هذا الدستور على مؤسسات لم تكن لها سلطات مستمرة ومحددة عبر تاريخ قرطاج، بل كانت لها سلطات متفاوتة عبر الزمان. وأهم هذه المؤسسات [181]:

المؤسسات الدستورية:

أ. الشفطان:

كان لثورة عام 450 ق.م، والتي تمخضت، عما خلفته معركة "هيمرا"[182] من تراكمات، تأثير واضح في نظام الحكم داحل قرطاج، إذ تقلصت فترة ولاية الحاكم بعد استبدال لقبه من ملك إلى شفط[183].

والشوفيط تسمية سامية عثر عليها منقوشة في الانصاب البونية في قرطاجة، وهي مأخوذة من كلمة شبط أو سبط (SPT) التي تعني القاضي[184]، وقد كان الاشفاط في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد يمارسون وظيفتهم في قرطاجة كل سنة قاضيان يتوليان الحكم لمدة سنة[185]، شبههم ارسطو بالقنصلان في اسبرطة[186]، من مهامهما استدعاء مجلس الشيوخ للاجتماع تحت رئاسته، وتحضير جدول اعماله، وقراءة القرارات النهائية التي يصادق عليها مجلس الشيوخ، بالإضافة الى استدعاء مجلس الشعب عند الحاجة، وتولي قيادة الجيوش[187]،وأن بوليبيوس يسميهما بالسلطة العليا وذلك لأن البرقيين في نظره كانوا ملوكا، وذلك لأن صدر بعل وحنبعل كانوا لهم سلطات ملكية[188].

ب. مجلس الشيوخ:

يمثل مجلس الشيوخ أقدم المؤسسات السياسية التي عرفتها قرطاج وأقواها نفوذا، فهو أول مؤسسة تطرق إليها المؤرخون بعد القرنين الثامن والسابع[189]. حيث بدأت أخباره تتداول منتصف القرن السادس قبل الميلاد في عصر الاسرة الماغونية[190]، كان اعضاءه ينتخبون دستوريا من قبل الشعب طبقا لما تقتضيه القوانين كالمواطنة والسن والثروة والمستوى الثقافي فضلا عن الوجاهة والقدرات الشخصية[191]، وسمي أعضاءه ببعول قرطاج، عددهم لا يقل عن 300 عضو[192]، من صلاحياته اعلان الحرب والسلم، واستقبال

السفراء الاجانب وارسال البعثات، بالإضافة الى تقرير تجنيد المرتزقة والعبيد أثناء الحروب، دراسة التقارير التي يرسلها قادة الجيوش والبث فيها بتزويد التعليمات اللازمة، والسهر على الامن داخل المدينة الدولة، بالوقوف في وجه من تخول له نفسه الاستيلاء على الحكم، وسن القوانين ومتابعة تنفيذها[193]، ويذكر محمد الهادي حارش أن سلطة هذا المجلس تقلصت امام تزايد قوة الشعب[194].

وعلى الرغم من الصلاحيات والمهام التي كانت بيد مجلس الشيوخ إلا أنه واجه منافسة قوية في فترات من قبل بعض القادة العسكريين الذين ظهروا فيما بعد، واستغلوا دورهم على رأس القوات الحامية للدولة وفرضوا أنسهم عليه بالقوة نتيجة الحاجة إليهم لمواجهة الخطر الخارجي، وأصبح هذا المجلس في كثير من الأحيان يسايرهم ولا يستطيع مواجهة بعض القادة بالعداء[195].

جـ. محكمة المائة والاربعة:

هي محكمة منتخبة من هيئة أو "هيئات" تضم خمسة أعضاء لذا أطلق عليها اسم "الهيئات الخماسية"، وبرزت في القرن 5 ق.م.، وعند انتهاء مهامهم يسند إليهم لقب "حاكم" من أجل تمتعهم بالحصانة[196]. كما تعتبر هذه المحكمة ابرز الهيئات القضائية المعروفة في قرطاج، يذكر يوستينيوس أنها نشأت بتنامي نفوذ العائلة الماغونية التي اصبحت تضغط على الحريات العامة وتجمع بين السلطة السياسية والقضاء[197]، ويؤرخها غزال بمنتصف القرن الخامس قبل الميلاد[198]، ويذكر ارسطو انهم مشابهين لسلطة مجلس القضاة أو الرقباء الخمسة في إسبرطة، على انها تختار من بين الارستقراطية[199]، ويذكر غزال انه مع تطور المؤسسات السياسية في قرطاجة في منتصف القرن الخامس حتى بداية القرن الثاني قبل الميلاد تنامى دور مجلس المائة والاربعة من محكمة عليا الى النظر في مختلف القضايا في اطار المحاكم المدنية[200].

د. مجلس الشعب:

يعرف باللغة الفينيقية ب" عم قرت حدشت". ولكل مواطن حق الدخول فيه حسب شروط مضبوطة. حيث ظهر هذا المجلس حوالي القرن السادس قبل الميلاد[201]، يتكون من المواطنين القرطاجيين ولا يخول للعبيد أو الاجانب الدخول فيه، ويشترط في اعضاءه ان يبلغوا سنا معينة، وان يكون لهم مقدار معين من

المال[202]، ومن صلاحياته النظر في القضايا التي يظهر فيها خلاف بين مجلس الشيوخ والشفطان، كما يشارك في انتخاب الضباط الذين يتولون قيادة الجيوش وكذلك الشفطان[203].

يفهم من بوليبيوس أن صلاحيات هذا المجلس زادت على ما كانت عليه، وأصبح يستشار عادة، لكن مع ذلك يعتقد كافينياك أن الطبقة الدنيا من الشعب كانت مبعدة [204]، ويصدر ارسطو حكما ايجابيا يقول: "يعرف القرطاجيون بأنهم محكومون بصفة جيدة ودستورهم أفضل مما لدى غيرهم..."[205].

اضافة إلى هذه الهيئات كان هناك مجلس الثلاثين الذي كانت مهامه الادارية تتعلق بفرض الضرائب والادارة المالية، ومجلس العشرة الذي يتولى شؤون المعابد ومسائل العبادة[206].

المحور الخامس: الموروث الحضاري القرطاجي

I. الجانب الاقتصادي:

اعتمد الاقتصاد القرطاجي على ثلاثة عناصر أساسية وهي انتاج زراعي وافر وصناعة جيدة مزدهرة وتجارة رائجة، ولقد اعتنى القرطاجيين بمختلف هذه الميادين، فوفروا كل الظروف الضرورية لتطوير الاقتصاد وزيادة الثروات التي غزوا بها الكثير من أسواق عالم البحر الأبيض المتوسط.

1.الزراعة:

تمكنت قرطاج من القرن 5 ق.م، اثر حروب متعددة مع سكان البلاد الأصليين، من توسيع منطقة نفوذها المباشر على الأرض الممتدة من حدود ليبيا الحالية جنوبا إلى حدود الجزائر الحالية شمالا، واستطاعت الأرستقراطية من أصحاب العقارات استغلال مساحات شاسعة خصبة بطريقة ناجعة مكنتها من التفوق والتميز في هذا المجال على بقية شعوب المتوسط.

وقد اهتم القرطاجيون بالزراعة حسب ما أورده المؤرخون في كتبهم؛ ويصف ديودور الصقلي المنطقة التي دخلها أغاتوكليس في 310 ق.م في زحفه على مدينة قرطاجية تخللتها الحدائق والحقول وأبار مجهزة بقنوات الري، والارض مغروسة كروما وزيتون وانواع من الاشجار المثمرة والمراعي تسودها قطعان الابقار والاغنام والخيول[207].

كما اشتهر في الزراعة العالم القرطاجي "ماغون" صاحب الموسوعة المكونة من 28 جزءا تناولت الضيعة بما فيها من زراعات كبرى وغرس اشجار وتربية المواشي، الا ان اجزاءها قد ضاعت، وما بقي منها 66 فقرة تتعلق بزراعة القمح وغراسة الاشجار المثمرة كالكروم والزيتون واللوز والرمان والتين، وبعض النباتات البرية الاستشفائية[208]،كما عرف القرطاجيون صناعة الخمر من الزبيب إلى جانب الاهتمام بأشجار الزيتون لإنتاج الزيت[209]، ومن الأشجار التي اهتم القرطاجيون بغراستها أيضاً أشجار اللوز والتين والرمان[210].

انتشرت كذلك في قرطاجة تربية المواشي في أملاك الأسر الغنية في ضواحي المدينة، كما قام القرطاجيون بتربية بعض الحيوانات الأخرى ومن بينها: الأحصنة والحمير والبغال والبقر والاغنام بصفة خاصة ذات

الاذيال القصيرة، كما عرفوا صيد الأسماك في خليج تونس حتى كان الفائض يجفف ويصدر ما جعلهم يجهزون مستودعات للأسماك المجففة[211].

وقد اورد بلين الكبير اخبارا عن ماغون، حيث ذكر أنه كان من قادة الجيش القرطاجي، وقد عاش في القرن السادس قبل الميلاد، غير ان المعلومات التي جاءت في الموسوعة لا تتناسب مع تلك الفترة فقد ورد فيها معلومات تعود للقرن الرابع قبل الميلاد في الوقت الذي تفتحت فيه هذه الحضارة على الحضارة اليونانية وبالتالي فالحد الاقصى لحياة ماغون هو القرن الرابع قبل الميلاد، أما الحد الادنى فأشار له المؤرخون بالحروب البونية، مما يعني ان ماغون عاش ما بين القرن الرابع والثاني قبل الميلاد، وينسب الباحث الايطالي اسبرنزا الموسوعة الى اخ حنبعل "عبد ملقرت"، لأن الصفات التي نسبت لماغون تتوفر فيه فقد كان قائد جيش عاش خلال الحرب البونية الثانية وهو كغيره من افراد اسرته البرقيين مولعين بالزراعة؛ كما فعل حنبعل بأن امر جنوده بغرس الزيتون في ربوع الساحل "موزاق"[212].

2.الصناعة:

اشتغل الفنيقون بالصناعة منذ تأسيسهم لمدينة قرطاجة غير أنها كانت في أول الأمر بسيطة بحيث لا تتجاوز صناعة السفن واصلاحها ثم استخراج صباغة الاجوان من محار الميوريكس الذي يصطادونه من شواطئ بلاد المغرب، بالإضافة الى صناعة الفخار التي كانت تنقصها الجودة والاتقان. ولم تزدهر الصناعة القرطاجية الا اعتباراً من القرن الخامس قبل الميلاد عندما اصطدمت قرطاجة باتحاد المدن الاغريقية في معركة هيمرا سنة 480 ق.م. وقد اتضح لقرطاجة بعد هذا الاصطدام أنها لا تستطيع أن تصمد في أي صراع مقبل مالم تكن صناعة قوية [213].

ويلاحظ من خلال النقوش التي تشير إلى الكثير من الحرفيين ان الصناعات لم تكن من اهتمامات الطبقة الارستقراطية وانما تركزت في ايدي المواطنين، الذين يرى غزال انهم كانوا تابعين للنبلاء الذين كانوا يمارسون التجارة البحرية، ويملكون المزارع الكبرى ويوجهون السلطة السياسية والاقتصادية في قرطاجة، وقد تردد في النصب التذكارية ذكر عمال التعدين كالنحاس والحديد والرصاص والبرونز مثل صناعة ادوات الفلاحة كالفأس[214].

وكانت اكثر الصناعات رواجا صناعة الفخار الذي كان يستخدم في الحياة اليومية فصنعوا منه المصابيح والتماثيل الصغيرة والقدور، وفي الاثاث الجنائزي مثل الاجاجين (Urnes) يستعمل لحفظ عظام الموتى[215]. وقد شكّل مادة هامة في الصناعة القرطاجية، رغم خلوّه من الخصائص الفنية والإتقان.

وقد ساهمت الزراعة في تنشيط القطاع الصناعي ويتجلى ذلك في تحويل بعض المنتوجات كتجفيف التين والعنب وصناعة الزيوت والخمور وتصبير الاسماك فضلا عن النسيج والصباغة والنجارة ومن المواد التي تستند اليها الصناعات القرطاجية الطين، المعادن الخشب والعاج والاحجار الكريمة وكانت المنتوجات تنتج للسوق الداخلية وتزود الاسواق الخارجية[216].

كما برع القرطاجيون في صناعة السفن وآلات الموانئ التي استعملوها في التجارة وحروبهم مع الاغريق والرومان فيما بعد، ففي الحرب البونيقية الثالثة تحولت المدينة بكاملها إلى ورش صناعية لبناء السفن وصناعة الأسلحة[217]، ويقول استرابون أنهم كانوا يصنعون في اليوم 140 ترسا طويلا و300 سيف و500 رمح و1000 قذيفة منجنيق، كما نجحوا في خلال شهرين ببناء 120 سفينة ذات سطح[218].

3.التجارة:

لقد اعتمدت قوة الفينيقيين شرقا وغربا على مهارتهم في صنع السفن وعلى إتقانهم صناعة تجهيزاتها، وبهما كوّنوا أسطولا ذا طابعين: الأول تجاري والثاني عسكري، ولهذا كانت المستعمرات التي أنشأوها والمستوطنات التي أقاموا بها هي في الوقت نفسه مرفأ لرسو السفن، ومصرفا لتسهيل المعاملات التجارية للسفن القادمة بحرا وللقوافل الواصلة برّا.

وقد لعبت قرطاجة دورا تجاريا هاما في المنطقة فقد عملت على احتكار الاسواق بالقوة او بالمعاهدات التجارية، خاصة في القرن الرابع قبل الميلاد حتى انهم منعوا روما من التعامل مع سواحل المتوسط غرب قرطاجة مثل معاهدة 509 ق.م، وتليها معاهدة 348 ق.م، وتوسعت الرقعة لتصل الى غرب الراس الطيب في محور سردينيا اسبانيا ليبيا[219]، غير أنها فقدت سيادتها على صقيلية واسبانيا ثم انكمشت حدودها السياسية عقب نهاية الحرب البونية واقتصرت على حدودها في شمال افريقيا[220].

وتميّز الأسطول القرطاجي البوني بسعة الحمولة وسرعة الحركة، لهذا لا نستغرب من إشارة بعض المصادر التاريخية إلى أن قرطاجة جهزت بهذا الأسطول رحلتين خارج البحر الأبيض المتوسط، الأولى إلى شمال أوروبا بحثا عن القصدير في سواحل الجزر البريطانية، ورحلة ثانية إلى الجنوب على الساحل الأطلسي بدءا من سواحل المغرب الأقصى إلى سواحل غرب إفريقيا الوسطى بحثا عن الذهب.

أما فيما يخص المبادلات فقد كانت المقايضة الصامتة كما وصفها هيرودوت[221]، ولجأوا الى الدفع في الوقت اللاحق بالسبائك الموزونة من الذهب والفضة أو العملة وتضمن الدولة قيمتها[222] لأن العملة لم تسك حتى اواخر القرن الخامس في صقيلية[223]، أما فيما يخص المبادلات فالنصوص الادبية غائبة والاثار لا تعطينا أكثر من الاثاث الجنائزي. أما وارداتهم فمواد اولية من اسبانيا مثل الحلفاء لصناعة الحبال ومعادن مختلفة مثل الذهب والفضة والقصدير، وكانت إيبيزا تقدم الصوف والجلود، وافريقيا العاج والاخشاب، وسردينيا و نوميديا الحبوب والفخاريات، والبرونز كان يجلب من قبرص وبلاد الاغريق عامة[224]،أما الصادرات فكانت خمور وحبوب وزيت الزيتون، واللحوم المجففة والارجوان، وأصناف الخزف العادي، بالإضافة إلى التمائم والأنسجة المطرزة و الزرابي والحلي والمعادن الخام [225].

II.الجانب الاجتماعي:

1.طبقات المجتمع القرطاجي:

تؤكد الكتابات الكلاسيكية بالإضافة إلى نتائج الأبحاث الاثرية، أن مدينة قرطاجة كانت مقسمة إلى أحياء سكنية متميزة حسب الطبقات الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع القرطاجي، وهي أحياء صلامبو، بيرصة ثم ميغار[226] . كما نجد تمييزا واضحا بين طبقات المجتمع في القمة نجد الارستقراطية المبنية على الثراء كانت تسيطر على الشؤون العامة، يليها عامة الشعب له حقوق سياسية معتبرة، أما فيما يخص العبيد، فكان عددهم كبيرا، ونجدهم فيكل مكان: في الورشات وفي دور التجارة وفي الاسطول البحري وفي الادارة العامة، وفي اعمال الفلاحة عند الاثرياء ولا يتمتعون بأية حقوق سياسية[227].

كما تم تقسيم عناصر المجتمع القرطاجي إلى مواطنين واجانب وعبيد، والمواطنون هم من يتمتعون بالمواطنة ولهم الحق في الاسهام في بناء المجتمع توكل لهم المهام السياسية والادارية على اساس الثروة والثقافة، ومن

نفس الطبقة نجد الذين يتعاطون مختلف الصناعات والحرف مثل النجارة والحدادة والبناء والفخارة وكل من يعمل في مجال البحر والزراعة ممن يملكون حقولا وبساتين توفر لهم سبل عيش متواضعة حتى انهم كانوا يكتبون حرفهم على النصب المقدمة للآلهة، ومنهم كذلك الاطباء والمدرسين والمهندسين وبعض العمال في دواوين الادارة كالكتبة، وهم كثيري العدد قليلي الفاعلية[228]. كما ضم المجتمع القرطاجي الجاليات الأجنبية الذين جلبتهم خيرات المنطقة، فكان البعض يأتيها للتجارة او لمهمة وقتية أخرى كالحرفيين من صقلية وإيطاليا وبلاد الاغريق[229]، وقد اعتمد القرطاجيون على نظام الرق شأنه شأن المجتمعات القديمة الأخرى، وكانوا معترف بهم كبشر يتزوجون ويقوم بواجباتهم الدينية ولهم حق الملكية، ويمكن أن ينالوا حرياتهم بكد أيديهم [230]. وقد احترمت المرأة القرطاجية واسندت لها وضائف دينية وسياسية وتجارية بالإضافة إلى المهام المنزلية المنوطة لها مثل تربية الأبناء ورعايتهم والقيام ببعض الحرف منزلية كالحياكة[231]، مثل "صفنيبة" زوجة ملك نوميديا الغربية سفاكس[232].

أما عن التقاليد فيعد لمجتمع القرطاجي أصيل ومنفتح، فقد بقي متمسكا بتقاليده الشرقية العريقة، ولكنه لم يرفض بعض تقاليد المجتمعات المتوسطية الغربية، وحافظ على لغته الفينيقية مع دخول بعض التغييرات عليها، هي في نظر علماء اللغة تحريف ومع تمسكه بلغته الأم كان المجتمع القرطاجي يُحسن لغات عدة جعلته قادراً على التعامل بسهولة مع شعوب ضفَّتَي البحر الأبيض المتوسط.

وهو محافظ على لباسه الشرقي، كالجبة الطويلة الواسعة الأكمام والقلنسوة غطاء للرأس، لكنهم لم يرفضوا اللباس المغربي كالكدرون والبرنس. و تمسكت النساء بكثرة استعمال التطرية (Maquillage) وكثرة لباس الحلي إبراز لجمالهن[233].

III.الجانب الديني :

مما لاشك فيه أن الديانة كانت تحتل مكانة هامة في الحياة العامة والخاصة للقرطاجيين، فلأسمائهم التي يحملوها تدل على ذلك حيث اقترنت بأسماء آلهة فينيقية وآلهة محلية مثل: "شافوط بعل" الذي يعني قاضي بعل، "حنبعل" أي حضي بحظوة بعل، "عبد شمون" أي خادم أشمون، "عبد ملقرت" أي خادم ملقرت.

ومن بين الآلهة التي عبدها القرطاجيون نجد آلهة أحضروها معهم من صور مثل ملقرت، عشتارت واشمون[234]، كما نجد آلهة محلية مثل: تانيت التي أخذت مكانة عليا بعد تراجع مكانة بعل حامون اللذي كان يعتبر المعبود الرئيسي للماغونيين بعد القرن الخامس قبل الميلاد[235]، بالإضافة إلى آلهة ثانوية اخرى[236].

لا يستبعد أن تكون للقرطاجيين في المرحلة الأول كهوف مقدسة أو بعض المرتفعات المقدسة، وفي المراحل اللاحقة أصبحت المواقع المخصصة للعبادة في المناطق السهلية تقام في الهواء الطلق، محاطة بأسوار ضخمة خشنة وسطها مكان لتقديم الاضاحي ومسكن للإله، وقد انتدب عدد من الكهنة والكاهنات لخدمة الإله وتميزت مراتبهم بأنها وراثية وكانوا يتزوجون، وليس لهم اي دور سياسي[237].

وقد اقترنت العبادة والاحتفالات الدينية، حيث عرف القرطاجيون اعياد مثل "العيد السعيد المبارك" حسب ما ورد في نقيشتي دوقة، ومن طقوس العبادة عند القرطاجيين طقس تقديم الاضاحي مثل الاضاحي البشرية والحيوانية والطيور، وبواكير الفواكه والزيوت والحلويات والحليب، كما لم يعبد القرطاجيون موتاهم كما هو شأن الشعوب القديمة، بل اهتموا بقبورهم وكانوا يؤدون مراسيم جنائزية اثناء الدفن أو بعده فيقدمون الولائم المأتمية كما كانت توحي النصب القرطاجية، فقد كانت تقدم على شرف الاله الذي كان يحمي الميت الممثل في النصب، وقد وفروا لهم قبور تحتية بأبواب وسقف مغطى بمدماك او بلاطة تشكل السقف، وفي القرن الرابع قبل الميلاد باتت القبور تحفر على اعماق كبيرة وصلت الى 22 م، في حين ظل الارستقراطيين يبنون لأمواتهم اضرحة مثل ضريح دوقة[238].

IV.الجانب الثقافي:

إن أساس الثقافة هي اللغة، وقد انتشرت لغة الفينيقيين القادمين من الشرق في كامل البلاد التي استوطنوها بسواحل افريقيا وبعض جزر البحر الأبيض المتوسط. وبقيت اللغة اللوبية فقط في المناطق الريفية والداخلية. وتدل كثرة النقوش في ربوع المغرب العربي إلى حدود الصحراء على مدى انتشار التعليم اللغة القرطاجية[239]. وقد اشتقت اللغة التي يتكلم بها السكان في قرطاجة مباشرة من الفينيقية وسميت باللغة البونية[240]، أما عن الكتابة فالكتابة البونيقية كانت صورة عن فينيقية قرطاجة، وقد وردت بعض النصوص في النصب النذرية وبعض شواهد القبور والنقوش على القطع النقدية، كما ان القرطاجيون

طوروا البونيقية وسموها بالبونيقية الجديدة ورد فيها العديد من اسماء الاهالي[241]، وتتكون الكتابة البونيقية من 22 حرف ساكن وتقرأ من اليمين إلى اليسار، وقد تميزت بمظهر حروفها المائلة والمنحنية في بعض الأحيان لذلك أخذت حروفها شكلا أكبر[242].

انتشار الكتابة في مختلف ميادين الحياة من تجارة وإدارة وتوثيق، إلا أن المدونات المحلية مثل موسوعة ماغون الزراعية وكتابات غيره لم يبق منها إلا الأثر مذكورا في المصادر الكلاسيكية، خاصة مع التخريب الذي طال قرطاجة؛ فقد ذهب جلها غذاء النار التي أضرمتها الجيوش الرومانية بأمر من القائد سكيبيو اميليانوس في الحرب البونيقية الثالثة[243].

يكاد يحدث اجماع بين المؤرخين القدامى منهم والمحدثين على عدم وجود فنون قرطاجية أصيلة وخالية من التأثير الأجنبي. حيث عرف الفن القرطاجي بالمحاكاة فقد نقل القرطاجيون عن جيرانهم الاجانب جوانب زخرفية، ويصعب تأكيد الى اي درجة كان التقليد في الفنون القرطاجية[244]، ومعظم النحاتين كانوا يونانيين[245]، غير انهم عرفوا زخرفة الفخار المتوسطة الجودة الذي تنقصه الاصالة يكتفي بدوائر حمراء واخرى سوداء وسط اجواف ملتوية[246].

أما في مجال العمارة بنى القرطاجيون مبان ضخمة، يقال أنها بستة طوابق، تنتهي بسطوح على ما يفهم من المعارك التي جرت فوق هذه الدور في الأيام الخيرة لقرطاجة[247]. ومن الفنون التي عرفها القرطاجيون على الرغم من انها كانت متواضعة نجد نحت التماثيل الصغيرة والتوابيت والنصب التذكارية[248]، كما عرفوا فنون دقيقة مثل صناعة الحلي والتي عثر على نماذج لها في القبور القرطاجية[249].

المحور السادس: المالك الوطنية:

I.أصولها :

لا يعرف بالضبط لأي فترة من فجر التاريخ تعود مملكتا نوميديا وموريطانيا، حيث اختلفت الآراء فيما يخص زمن قيام الممالك الوطنية، التي تحدثت عنها النصوص الاغريقية واليونانية بشكل عرضي في إطار حديثهم على حروبهم ضد قرطاجة، فهناك من يرجعها الى القرن الرابع قبل الميلاد .

وفي هذا الصدد نشير إلى أنه بناء على كتابات المؤرخين القدماء والمحدثين، فإن منطلقات الدولة الماسيلية الأولى انت حول المدراسن، وهذا في شكلها القبلي، ويعود ذلك إلى حوالي نهاية القرن الرابع ق.م، وعندما توفرت لها الشروط الملائمة لتكوين الدولة ، انتقلت بعد ذلك إلى سيرتا وهناك ظهرت في شكلها الملكي الذي عرفت به منذ القرن الثالث ق.م، وأسند تأسيسها إلى الأسرة الماسيلية التي ينتمي إليها ماسنيسان وأحفاده[250]، ويشر كذلك ستيفن غزال لظهور هذه الممالك إلى القرن الرابع ق.م [251]، وقد أخذ عنهم ذلك حتى مؤرخين محليين عدة من خلال أن اسم النوميد ظهر ككيان سياسي على خريطة البحر الأبيض المتوسط منذ أواخر القرن الرابع قبل الميلاد[252]، ومن جهته يذكر "بوليبيوس" بأن المملكة النوميدية كانت قد وجدت منذ نهاية القرن الرابع ق.م [253].

وذلك استنادا الى ما ورد في الكتابات الكلاسيكية: مثل ديودور الصقيلي الذي يذكر ان أغاتوكليس عندما نقل الحرب الى شمال افريقيا (310 ق.م)، قد توغّل في الاراضي النوميدية المجاورة للأملاك القرطاجية، وقد حاول كسب ود الملك ايليماس وطلب مساعدته في عاصمته دوقا[254].

ويعد ايليماس الذي اشار اليه ديودور الصقلي هو احد أجداد ماسنيسا الأول ويعتبر أول من اعتلى عرش نوميديا الشرقية[255]، ويرجّح أثريا أن المدراسن الذي يعود الى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد يعتبر منطلق الدولة الماسيلية الاولى التي انتقلت بعدها الى سيرتا في القرن الثالث قبل الميلاد[256].

ويرى بعض المؤرخين المحليين نظرة استعمارية عنصرية تهدف الى تقزيم المغرب والتي مال ميلتها حتى اقلام محليين.

ويرى بعض المؤرخين المحليين بأن الممالك الوطنية تعود الى فترة اقدم من القرن الرابع والثالث قبل الميلاد بكثير، ويرجِّح بأنها تعود الى القرن التاسع قبل الميلاد[257]، نظرا لرواية جوستينيان الذي يروي قصة الملك النوميدي (هيرباص) الذي طلب الزواج من عليسا ورفضت[258]، ويذكر ان هذه الأخيرة عند وصولها الى المغرب لم تجد فراغ سياسي كما يروي البعض بل انها وجدت كيانا سياسيا لجات اليه في طلبها قطعة ارض، وأنها قد خضعت بموجب ذلك الى ضريبة كانت تدفعها سنويا للأهالي وانها لم تستطع التخلص منها رغم محاولاتها الى غاية القرن الخامس قبل الميلاد، وذلك يثبت ان النظام كان محكما ويدل ذلك ايضا على استمرار هذا النظام، وكذا التطور السياسي والاقتصادي الذي عرفته مملكة نوميديا في القرن الثالث ق.م والذي يبعث على الاعتقاد بوجود نظم في شتى المجالات سابقة لهذا القرن[259]، ويذكر ايضا ما ذكر جوستنيوس عن الملك الماوري الذي استعان به حنون لاسترجاع السلطة في قرطاجة حسب ما ورد على لسان كامبس[260]، بالإضافة الى ذلك تظهر نقيشة وليلي التي تتحدث عن الشفطية في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد مما يدل على وجود نظام بلدي منظم يرجح انه تطور لنظام موغل في القدم ولا يرجع الى القرن الثالث قبل الميلاد كما اورد الرأي الأول[261].

II.الإطار الجغرفي:

يجمع المؤرخون القدماء والمحدثين على أن نوميديا كانت تشتمل على تكتلات قبلية مثل الماسيل والمازيسيل[262]، حيث كانت قبائل المازيسيل تتوضع في الغرب الجزائري الحالي. أما قبائل الماسيل فكانت مضاربها تشمل الشرق الجزائري وشمال تونس فيما عدا أراضي الدولة القرطاجية، ولم تكن لتلك القبيلتين حدود معلومة فيما بينها، بل كانت تتراوح بين مد وجزر[263].

ويؤهل هذا الموقع بلاد المغرب عموما لأن تكون عرضة لتأثيرات أوروبية وشرقية واضحة، الأمر الذي يجعلها تتأثر بالأحداث المتوسطية الكبرى ، وتنعكس عليها نتائج تلك الأحداث انعكاسا جليا.

1.موريطانيا:

الاثار والنصوص تسمح لنا بإعادة أصولها إلى القرن الرابع ق.م، فهذا يوستينوس يتحدث عن ملك ماورى استعان به حنون عندما حاول الاستلاء على السلطة في قرطاجة. وفي أواخر القرن الثالث كان وجود

مملكة موريطانيا حقيقة تاريخية، قدم لنا أحد ملوكها: باغا"Baga" معاصر وحليف ماسنسان خلال الحرب البونية الثانية (264). وتمتد هذه المملكة من نهر مالوشا (ملوية) الى المحيط الأطلسي[265].

و يعد اقدم ملوكها باغا، ومن أشهر ملوكها بوخوس الاول[266] الذي تحالف مع روما ضد يوغرطة واتى على ذكره سالوست[267]، وبوخوس الثاني الذي تحالف هو الآخر مع روما ضد يوبا الأول، وحصل بموجب ذلك على اراضي من نوميديا الغربية بعد تحالفه مع قيصر وانتصار هذا الأخير وضمه مملكة يوبا الأول ومدّ حدود بلاده الى غاية الوادي الكبير، وعندما أصبحت مملكة موريطانيا شاغرة دون وريث بعد وفاة بوخوس الثاني سنة 33ق.ممن نصيب يوبا الثاني ابن يوبا الاول والذي خلفه ابنه بطليموس 23ق. م [268]، والحال أن الأخير استدعاه كاليغولا سنة 39ق.م وقتله في سنة 40ق.م، وأعلنت موريطانيا منذ ذلك مقاطعة رومانية، وقسِّمت في عهد كلوديوس 43ق.م الى مملكتين موريطانيا الشرقية وموريطانيا الغربية[269].

2.نوميديا الغربية (مازيسيليا Maseasyle):

نسبة إلى قبائل المازيسيل ، الذين ظهروا كقوة في افريقيا منذ أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الثاني قبل الميلاد، وان كنا لانعرف شيئا عن تشكل هذه المملكة التي دخلت في حسابات المتنازعين خلال الحرب البونيقية الثانية[270].

كانت اول أخبار وصلتنا عن مملكة المازيسيل تعود إلى حوالي 213ق.م، حيث يذكر بولوبيوس بأن القرطاجيين كانت تربطهم صداقة متينة مع الملك سيفاكس "Syphax" قبل هذه الفترة، وأن المازيسيليين كونوا جزءا كبيرا من الجيش القرطاجي في اسبانيا وبلاد المغرب[271].

تعتبر حدود نوميديا الغربية متغيرة وغير ثابتة في مختلف الفترات التاريخية عدا الشمالية منها التي يحدها البحر الأبيض المتوسط، أما حدودها الشرقية والغربية والجنوبية فقد كان يتحكم فيها قوة وضعف جيرانها، وهي تقع الى الغرب من مملكة موريطانيا والى الشرق من مملكة ماسيليا والى الشمال من أراضي قبائل الجيتول.

ويشير استرابون إلى أن أراضي قبائل المازيسيل كانت تمتد من حدود القبائل المورية غربا والتي يفصلها عنها نهر الملوشة "الملوية" وتنتهي حدودها الشرقية عند رأس تريتون "Cap. Treton"وعاصمتها سيقا[272]، وامتد

المازيسيل شرقا من الوادي الكبير ضاما قيرتا الى غاية وادي ملوية[273]، ويذكر محمد الهادي حارش أن حدودها الجنوبية غامضة تصل الى جيتوليا، وأن أقدم ملوكها سفاكس، وعاصمتها سيقا وقيل قيرطا حتى انه قد ظهر مصطلح مازيسيل الغرب العاصمة سيقا ومازيسيل الشرق العاصمة قيرطا ويذكر في ذلك الشأن تيتوس ليفيوس ان قيرطا كانت مازيسيلية وينفي كامبس ذلك[274]، لكن نواة قوة المازيسيل كانت تقع في المناطق الغربية في الاقليم الوهراني، حيث توجد العاصمة الحقيقة للمملكة.

3.نوميديا الشرقية (ماسيليا):

نسبة إلى قبائل الماسيل التي يبدوا أنها لعبت دورا هاما وأحيانا حاسما على المسرح السياسي الافريقي عشية وغداة اقصاء قرطاجة[275].

غطت مملكة نوميديا الشرقية في القرن الثالث ق.م الشرق الجزائري وغرب تونس حاليا، ولكن حدودها كانت متغيرة وخاضعة للوضعية السياسية والعسكرية التي تغلب في افريقيا الشمالية، وهي محدودة من الشرق بقرطاجة ومن الغرب بمملكة المازيسيل ومن الجنوب بجيتوليا، أقدم ملوكها الملك ايلماس، كما ينسب بوليبيوس قبر المدراسن الى هذه القبائل والذي يؤرخ بنهاية القرن الرابع قبل الميلاد، يذكر بلين الكبير أن القبائل الماسيلية كانت تنزل داخل منطقة سيرتا وإفريقيا وفيما بين الوادي الكبير غربا وخليج السرت شرقا[276].

تم توحيد المملكتين نوميديا الشرقية ونوميديا الغربية على يد ماسنسان في 203 ق.م، الذي حمل شعار " افريقيا للافارقة"، بعد أن انتصر هذا الأخير على سفاكس ملك نوميديا الغربية، وباعتراف روما بمسنسان ملكا حليفا على أراضي مملكتي المزيسيل والماسيل معاً، ومنحته شارات الاعتراف به حليفا رسميا لروما وهي الصولجان والعباءة الرومانية والكرسي، وأصبحت مملكة نوميديا تمتد من الملوية غربا الى السرت الكبير شرقاً، وفي هذه المملكة المترامية الأطراف حكم وخلفاؤه ما يقارب القرن والنصف [277].

المحور السابع: المظاهر الحضارية في نوميديا -الحياة السياسية والاقتصادية-

I.الجانب السياسي:

أ- نظام الحكم:

1.الملكية:

ساد النظام الملكي الوراثي، حيث جاء في النقوش الليبية ان الملك كان يلقب بالأقليد في اللغة الليبية[278] ، وكان يعيش في قصر في عاصمته، أما عن توليه العرش فقد كان في البداية يتم وفق تقليد يقتضي بتولية العرش للأكبر سنا في الأسرة المالكة[279]، كما حدث في عهد "غايا" الذي بوفاته في سنة 206 ق.م خلفه اخوه الاكبر سنا في الأسرة "أوزلاقن" الذي خلفه بدوره ابنه الاكبر سنا كذلك كابوسا الأكبر من ماسنسان في سنة 204 ق.م[280].

وبوفاة ماسنسان 148 ق.م، نجد تغيرا في شكل حكم أبناءه الثلاثة، حيث قسمت السلطة تقسيما حقيقيا، حيث تولى مكوسن او مسيبسا او مكيبسا تولى السلطة التنفيذية وغلوسن او غلوسا تولى الامور السلطة العسكرية، ومسطنبعل تولى السلطة القضائية[281]، ونفس الامر حدث بعد وفاة مكيبسا 118 ق.م حيث خلفه ابنيه عزربعل وحفصبعل وابنه بالتبني يوغرطة[282]، وكذلك تتحدث المصادر عن توريث عرش غودا 88 ق.م بنفس الطريقة حيث خلفه ابناءه حفصبعل الثاني وهيرباس وماسنسان الثاني[283].

لكن سعة المملكة وصعوبة الاتصال، وكذا النظام القبلي و اختلاف نمط المعيشة بين الحضر والرحل، وقفت حائلا والسلطة المركزية المطلقة، مما دفع محمد قنطر الى افتراض وجود ثلاثة نظم ادارية في ذات الوقت: الادارة المركزية بالعاصمة قيرطا كمقر مركزي، الادارة القبلية وعلى رأس كل قبيلة رئيس يحصل على سلطته سواء من القبيلة التي ينتمى اليها أو من الملك، وأخيرا ادارة المدن التي وان كانت تعترف بالروابط التنظيمية التي تربطها بالمملكة فهي كانت تتمتع باستقلالية واسعة في تسيير مصالحها البلدية الخاصة[284].

2. إدارة الأقاليم:

اذا كنا لا نملك أية وثائق حول الادارة المركزية، ولا نعرف شيئا عن وزراء الملك، الذين يفترض البعض أن يكونوا من المقربين للملك الذي يزودهم بصلاحيات ادارية واسعة، نجد عدة نصوص تتحدث عن ولاة

الملك في الأقاليم، فهذا نص تيتوس ليفيوس الذي يتحدث عن تعيين سفاكس لولاة له في بلاد الماسيل، كما تحدث سالوست عن ولاة للملك يوغرطة، الذين استقبلوا ميتيلوس عند اجتياحه الاراضي النوميدية [285].

مما يوحي بوجود حكام أقاليم يخضعون لأوامر السلطة المركزية، بل ذهب البعض إلى افتراض تقسيم مملكة المازيسيل إلى امارات مستقلة خاصة في المناطق الداخلية.

وعلى السواحل كانت المدن ميالة إلى الاتساع والانفصال في وحدات شبه مستقلة في كل ما يخص حياتها الداخلية، وهو ما نسميه بنظام البلديات [286].

3. البلديات:

التنظيم لم يقتصر على المدن الساحلية، بل حتى المدن الداخلية ذات الأصول المحلية كان لها هذا التنظيم، حيث كانت المجالس البلدية مكونة من الاعيان المنتخبين وعلى رأسهم قاضيان "شفطان" يشرفان على الشؤون العامة، يحكمون الأمور والمنازعات، وتبين نقيشة دوقة السلطة الحاكمة في تلك المدينة مكونة من الحاكم العام الملقب بالاقليد ويمارس سلطته في المدينة لمدة سنة، وضابطان عسكريان برتبة قائد مئة مقاتل، وضابط مساعد برتبة قائد خمسين مقاتل وثلاث موظفين مدنيين[287].

كان إلى جانب هؤلاء الحكام مجلس مشكل من اعيان المدينة على ما يفهم من النقوش، أو حتى مجلس الشعب كانت بيده السيادة المحلية[288].

4.النظام المالي:

كانت الضرائب المصدر الأساسي لجمع الأموال، وكانت تدفع عينا، ربما عشر أو خمس أو ربع الانتاج، اضافة إلى الضريبة على المواشي، وهذا ماتدلنا عليه عملية الاحصاء التي يقوم بها الملوك النوميديون على مايذكر سترابون، هذا في الأرياف، أما في المدن فقد كانت تدفع نقدا مثلما كانت تفعل مدن السيرت في عهد الملك ماسينيسان[289].

كما شهدت النصوص التاريخية بان الخزائن في قيرطا وزاما كانت مليئة بعائدات الضرائب غير اننا لا نعرف الكثير عن قيمة تلك الضرائب[290].

ما جعلها تسيل لعاب المرتشين وقد تغنى بها البعض، ويقول شيرشون أن ليوبا الاول مال بعدد شعر راسه، وأن هذه الضرائب كانت منتظمة في المدن النوميدية وفي الأرياف حيث المزارعون المستقرون، وتوكل مهمة تحصيلها الى مكلفين محليين في المدن والقرى والقبائل، وكان عليهم تقديمها لأمناء الملك[291]، ذكرت المصادر عددا من المدن كانت مقرا للخزينة الملكية سيرتا سوثول تالة كابسا، كانت مقرات جهوية للمالية التي تقوم بدفع رواتب الموظفين والعمال في تلك الاقاليم[292].

5.الشرطة:

معلوماتنا حول الشرطة ضئيلة، وكل ما نعرفه وجودها في المدن الهامة، ونعرفها خاصة في فترات الحرب، ومهمتها في هذه الحالة الدفاع عن هذه المدن ضد الأعداء و بهدف ضمان الاستقرار بها. حيث وجدت الشرطة في المدن الرئيسية مثل دوقا وقيرطا.

أما الجيش فقد كان جيشا نظاميا يقيم قرب القصر الملكي وفي العواصم الإقليمية، وقد تلخصت مهمته في اثناء السلم في شق الطرق والسدود وبناء القرى وغرس الأشجار وبعض اعمال الزراعة مثل زراعة الحبوب والعمل على استقرار البدو، وكان يجتمع في شكل سرايا يقودها ضباط.

كان الجيش في حالات الحرب يجنّد وحدات الاحتياط وتسرّح بمجرد انتهائها، حيث سلح الجيش بالأسلحة الدفاعية كالدروع البيضاوية وواقيات الصدر، والهجومية كالرماح والنبال والمقاليع والسيوف القصيرة والفؤوس، كما استعملوا الخيول والفيلة، وكان يتكون من مشاة وفرسان.

أما عن الانخراط في الجيش فكان طواعية او بتجنيد المرتزقة مثل:(الليقوريين والاسبان والتراقيين والغاليين)، أما عن البحرية بدأ الاهتمام بها خاصة منذ عهد الملك ماسينسان اذ نجد نصوصا تتحدث عن أسطول هذا العاهل الذي يجول عباب البحر الأبيض المتوسط، فبالإضافة إلى دور هذا الأسطول في التجارة، كان عليه دفع القرصنة وصد الأعداء[293].

II.الجانب الاقتصادي :

تجمعت في نوميديا في عهد ملوكها الأهالي، عناصر هامة لتحقيق نشاط اقتصادي زاهر، فلاستقرار السياسي الناجم عن طول فترى الحكم معظم الملوك –ماسنسان 55سنة، مكوسان30 سنة، حفصبعل الثانيما يقرب 33 سنة- نتج عنه تنشيط المبادلات التجارية، خاصة بعد زوال الاحتكار القرطاجي وفتح ماسنسان للموانئ في وجه التجار الاغريق وغيرهم[294].

1. النشاط الرعوي والثروة الحيو انية:

كان النشاط الرعوي في المغرب القديم سابقا للنشاط الزراعي، وقد ساعدت في ذلك البيئة الجغرافية وقد كانت الحيوانات المستأنسة توفر لهم الملابس والاحذية والسروج بالإضافة الى الاغذية كالألبان والأجبان واللحوم[295]، ولذلك أشاد سالوست بأجسامهم القوية وأنهم مديدو الأعمار[296]، ومن اهم الحيوانات التي كان يربيها المغاربي القديم الاغنام والماعز والابقار وقد مارس تربيتها المستقرون وذلك بدليل اعتماد الثيران في جر المحراث، بالإضافة الى اعتمادهم على تربيه الفيلة وترويضها واستعمالها في الحروب فكانت تعتبر دبابة الحروب القديمة، كما قاموا بتربية الخيول وقد استعمل في جر العربات وكان عماد الحروب لسرعته وسهولة انقياده، بالإضافة الى تربية الدواجن والنحل[297].

وحتى بعد ظهور الزراعة ظل النشاط الرعوي يحتل الدرجة الأولى كما تشير إلى ذلك الكثير من الدلائل الأثرية، حيث ظهر الحصان في العملة النوميدية إلى جانب الملوك حيث كانت تعتبر عنوان الفخامة والأبهة، وما قام به ماسينسان ما هو في الواقع إلا محاولة لإقامة توازن بين النشاطين الرعوي والزراعي وذلك دليل على تمتع هذا الملك برؤية اقتصادية استراتيجية معتبرة[298] .

2. النشاط الزراعي:

كان المغرب القديم، يتوفر على امكانيات اقتصادية هامة، حيث تعد الفلاحة قديما عنصرا هاما في الاقتصاد، بالرغم من عدم تغير الجغرافيا للمنطقة، حيث أنها كانت دائما تفوق حاجيات البشرية.

كان النشاط الرعوي سابقا للنشاط الزراعي بكثير في المغرب القديم، إلا أن ظهورها في المنطقة يعود الى فجر التاريخ ونهاية العصر النيوليتي فيما عرف بثورة انتاج الطعام، وذلك يؤكده تقسيم الاراضي الزراعية الذي تميّز بالدقة، وكذا الادوات الزراعية التي وجدت في موقع الداموس الاحمر بتبسة مثل الفؤوس والمناجل وحجارة سحق الحبوب[299].

أ. الملكية الزراعية:

لم يرد في أخبار القدامى، ما يفيدنا في معرفة نظام الملكية عند النوميديين، غير أن بعض التلميحات تسمح لنا بالقول، بوجود اراضي ملكية تابعة للقصر وأخرى للأمراء وكذا أراضي المعابد اضافة إلى الملكية الفردية الخاصة[300].

فلا يستبعد قزال أن تستغل هذه الأراضي الملكية والاميرية بواسطة رجال أحرار، مثلها في ذلك مثل أراضي البراري "Saltus" التي خلفتها، فكان هؤلاء الأحرار يستقرون في هذه الأراضي، ويستغلونها مقابل الالتزام بدفع نصيب من الانتاج لصاحبها[301]. وأما الملكيات الفردية وأراضي المعابد فقد كانت تستغل من طرف أصحابها ، اما الاراضي الرعوية فلا مكان هنا للملكية الفردية، ولا مكان لتقسيم المرعى، فقد كانت تحت تصرف كل العشيرة[302].

وقد أشاد الكثير من المؤرخين بخصوبة الاراضي النوميدية، حيث أشار استرابون انه في الربيع لا يبذرون الأرض بل يكفي تحريك التربة بحزم من الباليور لكي تنبت زرعا جديدا من البذور التي سقطت اثناء الحصاد[303]، كما اشار هيرودوت في مقارنة له بين اراضي بابل واراضي المغرب القديم الى خصوبة هذه الأخيرة[304]، والبعض يرجع ذلك الى سياسة مسينيسا في تشجيع استصلاح الاراضي[305].

ب. أدوات الانتاج:

يرى كثير من المؤرخين أن المغاربة القدامى من حيث أدوات الانتاج، فقد كانت لهم تقنياتهم الخاصة في مجال الفلاحة، وهي تقنيات قديمة، تعود إلى ما قبل الفينيقيين بزمن طويل، كما استعمل المغاربة القدماء

ادوات محلية وأخرى جاءت مع الفينيقيين للمنطقة، فقد استخدموا المجرفة قبل المحراث والمعول وانواع من المعازيق المحلية والمنجل، كما استخدموا في الدرس طريقة بدائية باستعمال الحيوانات (كالثيران والبغال والحمير والخيول) بدوس السنابل على البيدر، وطريقة اكثر تطورا استخدمت فيها العربة البونيقية (Plostellum poenicum)، تتكون من قطعتين من الخشب بعجلتين صغيرتين مسننتين من الحديد، وهو ماجعل دكري "Decret" وفنطر يقولان بوجود تقليدين متجانسين في الأعمال الفلاحية في نوميديا عشية الاحتلال الروماني، محلي أصيل وعادات واردة من الشرق مع الفينيقيين [306].

ت. الانتاج الزراعي:

رغم قلة الوثائق المتعلقة بالزراعة في بلاد المغرب القديم فإنها دلت على أن الفلاحة حظيت بعناية الإقليد ماسنسان، الذي توفرت في عهده كل الشروط اللازمة لقيام نهضة فلاحية في نوميديا. ومن بين هذه الشروط وفرة المساحات الواسعة لزراعة الحبوب ،وطول فترة الحكم لملوكها[307].

يبدو من خلال النصوص أن الحبوب "القمح والشعير" كانت تحتل الصدارة في الزراعة النوميدية، كما عرف المغربة البقول "كالفول والحمص والعدس والجلبان" منذ فترة مبكرة، وزراعات معيشية في مراكز التجمعات السكانية" قيرطا، تبسة، دوقة"، حيث نجد زراعة "البصل والثوم والخرشوف والخردل والكراث والقرع والبطيخ..." [308]، اما الزراعة التشجيرية فقد أخذت اهتمام المغاربة، وكانت وفيرة مثل الزيتون والتين والعنب واللوز والتمر، بالإضافة إلى الفواكه التي يكون الفينيقيين والقرطاجيون قد جلبوها من المشرق ونشروا زراعتها في المغرب مثل: الرمان والتفاح...[309].

3. النشاط الصناعي:

لقد ظل النشاط الزراعي والرعوي هما النشاطان اللذان يستحوذان على أغلبية القوى العاملة، ومع ذلك ظهرت أنشطة حرفية صناعية لتلبية حاجيات المجتمع، ومن خلال المكتشفات الأثرية أمكن التعرف على أهم تلك الأنشطة وما وفرته من مصنوعات[310].

أ- **صناعة الفخار:** كان كومس يقسم الفخار إلى فخار نذري لا يحتوي على أكثر من قيمته التعبدية، وفخار عائلي لمختلف الاستعمالات اليومية [311].وتجدر الإشارة الى ان الفخار الجنائزي لم يكن يحظى بعناية الصناع مقارنة بذلك الموجه للاستعمال اليومي ، ويمكن التمييز بين أنواع الفخار من حيث طبيعة الزخارف والألوان أو بالتحزيزات الناتئة او الغائرة[312].

أما عن الأواني فيمكن أن نصنفها في أربعة مجموعات:

* أواني الطهي *أواني الأكل * أواني الشرب * أواني التخزين[313].

ب- **صناعة الملابس والحلي**: من ضمن الملابس التي استخدمها المغاربة القدامى، نجد الجلابيب والمعاطف التي صنعت من الصوف، واحيانا يلبس المغاربي سترة تحت المعطف، كما ارتدوا ملابس داخلية خفيفة، وأحيانا يكتفون بسترة توثق بحزام حول الوسط أو بجلباب قصير، بالإضافة إلى البرنس "البرنوس" الذي أخذ شهرته ضمن الملابس المحلية، أما عن مكانتها فقد تجاوزت شهرة المنتوجات النسيجية الاسواق المحلية على الجوخ المصنوع من شعر الماعز في لبدة، كما أشاد فيرجيليوس بالقبعات الليبية، وتحدث سولينوس عن الأقمشة الأرجوانية التي تنافس مثيلاتها القادمة من الشرق [314].

أما صناعة الحلي عثر في القبور ضمن الأثاث الجنائزي على الكثير من الحلي، ضمنها خواتم وأقراط وخلاخل وعقد وأساور من معادن مختلفة وزجاج [315].

ت- **صناعة الأسلحة:** تتحدث المصادر الأدبية عن الأسلحة التي صنعها واستعملها الأفارقة وجاءت الأبحاث الأثرية لتدعم وتثري المعلومات التاريخية في هذا المجال، وأهم هذه الأسلحة الرمح الذي اعتبره اقزال الحربة سلاح البربر الوطني، كان يحمل معه الفارس على الأقل ثلاث حراب كما ورد في هيرودوت، أما سيليوس الايطالي فذكر بأن الحربة "الرمح" كانت تصنع من القصب[316].

تدل العديد من النصب على وجود السيف ضمن أسلحة محاربي الشمال الافريقي، ويثبت نصب عين خنقة " سيقوس" قدم هذا السلاح في المنطقة، و أشار تيت ليف إلى أن السيف لم يكن منتشرا بكثرة،

ولعله كان منتشرا بين فرق النخبة من الفرسان والمشاة أو طبقة القادة، بالإضافة الى الدروع التي كانت تصنع حسب ابيانوس من جلد الفيلة والخوذة وواقيات الصدر التي تحدث عنها استرابون انها كانت تصنع من الجلود[317].

4. النشاط التجاري:

الحديث عن التجارة يؤدي بنا إلى تقسيمها إلى تجارة داخلية وتجارة خارجية، ومعارفنا عن الأخيرة أوسع، وذلك لاهتمام المؤرخين اللاتينيين والاغريق بها نتيجة الصلة التي تربطهم بالمنطقة.

أ.التجارة الداخلية: وهي التجارة المحلية البرية، يمكننا الحديث عن عمليات الصرف التي كانت تقوم بها المدن التي تستجيب للحركة التجارية الكبرى، فتصرف انتاجها نحو المراكز الكبرى حيث تتمكن السفن ضمان النقل لها داخل نوميديا، وفي هذا الاطار تكشف لنا النقوش العلاقات القائمة بين المدن النوميدية مثل :"بجاية" ويول " شرشال" وبين يول وطنجة ...،حيث كانت تقوم على المقايضة[318].

ب.التجارة الخارجية: استرجع ماسنسان معظم المدن الساحلية التي أصبحت بوابات له على عالم البحر الأبيض المتوسط، وكسر بذلك الاحتكار الذي فرضته قرطاجة على بلاد المغرب منذ أمد طويل، وهو ماساهم في انعاش الحركة التجارية التي نفهم من المصادر أنها كانت موجهة[319]، أما التجارة الحرة فقد كانت تعتمد على المدن الساحلية يول (شرشال)، صلداي (بجاية) وقونونو (قوراية) وطنجة التي ذكرها استرابون مثل يول وصلداي والمرسى الكبير[320]، بالإضافة الى مدن طرابلس وهيبو ريجيوس وروسيكادا والقل التي مارست تجارة حرة، واعتبرت منافذ تجارية تجاوزت اسوار روما لتصل منتوجاتها الى العديد من بلدان المتوسط بدليل البقايا الاثرية والقطع النقدية التي عثر عليها في غالة واسبانيا وبلاد الاغريق[321].

ج.الأسواق: كانت عبارة عن أسواق اسبوعية وأخرى موسمية في شكل معارض كبرى، اما الاسواق الموسمية او السنوية فخير مثال عليها سوق الخريف بتكوت (باتنة) الذي ظل يقام كل خريف، وحسب قزال فإن أغلب المدن النوميدية كانت اماكن تقام فيها اسواق مثل ماكوماداس (بالقرب من ام البواقي) وتيفست وباجة التي

كانت سوقا للحبوب، وقيرطا التي كانت سوقا يرتاده الناس من مختلف الاقاليم، وعرفت الارياف تجارا متجولين منذ عهود قديمة [322].

د.الصادرات والواردات: احتلت الحبوب الصدارة في الصادرات النوميدية، وعلى الاخص القمح والشعير، بالإضافة الى الحيوانات مثل الفيلة والخيول وبعض الحيوانات المفترسة التي كانت تزين المدرجات الرومانية مثل الاسود والدببة والفهود...، بالإضافة الى الأبقار والماعز والأغنام، والعسل الافريقي الذي تحدث عنه هيرودوت وبلين، وكذا الاخشاب مثل العفصية التي كانت تستخدم في صناعة الأثاث، والعاج والمرمر [323].

أما عن الواردات فمعلوماتنا عنها قليلة نظرا لاهتمام المصادر بالسلع التي كانت توجه لروما وليس العكس واعتمادا على البقايا الاثرية يمكن القول ان الواردات هي مصنوعات فخارية كالمصابيح والآجر والانابيب التي عثر عليها في مناطق مختلفة من المغرب [324].

في أي نظام سياسي مهما كان شكله يكون تحصيل الضرائب من المهم الأساسية، حيث ضريبة هي مجموع الواجبات المستحقة للدولة على الأفراد والجماعات أي اقتطاع أقساط من أموال الشعب أو الرعية لدعم خزينة الدولة، وقد كانت تنفق على أجهزة الدولة أو على رفاهية الطبقة الحاكمة، ولذلك كانت احدى مظاهر القهر المسلطة على الشعوب أفراد وجماعات [325].

هـ.العملة: هي عنوان الشخصية الوطنية والهوية الحضارية والاستقلال الاقتصادي، وقد وجد الأثريون خلال أبحاثهم وحفرياتهم عددا كبيرا من القطع النقدية من معدني البرونز والرصاص تعود إلى الملوك النوميد والموريتانيين، وتحمل العملة في الغالب صورة الملك أو صورة حصان [326].

وقد كانت العملة الاجنبية في المغرب اكثر تداولا، وذلك لأن المغاربة كانوا يقدمون السلع مقابل تلك العملة، ولكن سرعان ما تحول الاقتصاد النوميدي من اقتصاد طبيعي الى اقتصاد نقدي في القرن 3 ق.م [327] وكان لسفاكس عملته التي حملت بعضها صورته والبعض الآخر صورة ابنه فرمينا [328]، أما عملة ماسينيسا فتتمثل في قطع نقود التي تحمل على وجهها صورة شخص ملتحي والوجه الثاني فيه صورة حصان متجه إلى اليسار في حالة عدو او صورة فيل [329].

المحور الثامن: المظاهر الحضارية في نوميديا -الحياة الاجتماعية والثقافية-

I.الجانب الاجتماعي:

1.مكونات المجتمع المغربي:

نجد في النصوص الإغريقية أسماء عدد من المجموعات القبلية في تعداد شعوب الشمال الافريقي ما قبل الاحتلال الروماني، وتدل هذه الأسماء على مجموعة قبائل محكومة بروابط التقاليد والعادات وخاصة القرابة، وقد سجل المؤرخون والجغرافيون القدامى أسماء ومناطق هذه الشعوب، وأبرزها هي[330] :

النوميد: (Numidi)

لا نعرف متى انقسم النوميد إلى ماسيل " Massyles" في الشرق "العائلة الملكية الماسيلية وعاصمتها سيرتا" وماسيسيل "Masaesyles" في الغرب "العائلة الملكية الماسيسيلية وعاصمتها سيقا " Siga" " لتعود إليهما الوحدة بعد كفاح وصراع مرير، وقد بدأت النصوص القديمة تذكر النوميد بهذا الاسم منذ القرن الثاني ق.م.، كشعب وكقوة سياسة تبسط سيادتها على منطقة واسعة تمتد من حدود قرطاج شرقا إلى وادي مولوشا "ملوية" غربا هذه القوة السياسية هي مملكة نوميديا الموحدة التي امتدت حدودها الشرقية في عهد ماسينيسا "203-148 ق.م." إلى السيرت الكبير ولكن حدود هذه المملكة كادت أن توحد الشمال الأفريقي القديم، وأخذت في التراجع بعد وفاة ميسيبسا "مكوسن 118 ق.م."، في أعقاب الانقسام والصراع على العرش الذي كانت روما تغذيه لإضعاف المملكة ثمّ الانقضاض عليها في الوقت المناسب.[331]،

المور: (MAURI)

استعمل الجغرافيون الإغريق هذا الاسم للدلالة على سكان أقصى الشمال الأفريقي غربا ما بين وادي مولوشا "ملوية" والمحيط الأطلنطي، وقد أخذه عنهم الرومان واستعملوه للدلالة على مملكة بوكوس وأبنائه (التي استلمها يوبا الثاني وابنه بطليموس فيما بعد) وعلى المقاطعة التي أقاموها على أنقاض تلك المملكة بعد ضمهم لها وقد حاول عدد من المؤرّخين البحث في أصل ومدلول هذا الاسم وأرجعه البعض إلى أصل كلمة ماهوريم (Mahurim) التي تعني في رأيهم أهل الغرب، ويستنتج من سترابون أنّ اسم ماوري (Mauri) كان مستعملا من طرف الأهالي والرومان مما جعل البعض يقاربه بكلمة (Tamurt) التي تعني الأرض أو البلد كما

هو معروف، خاصة وأنّ المصادر ذكرت وجود قبيلة أهلية في ناحية مولوشا اسمها ماوري (Mauri)، اعتبرها بعض المؤرخين كنفدرالية قبلية انبثقت منها المملكة الموريتانية ، وسنرى كيف أنّ اسم المور وموريتانيا خلال الفترة الرومانية أصبح يحمل دلالة إدارية، ولكن الاسم سيعمم خلال الفترة البيزنطية على كلّ جماعات الشعب البربري التي حافظت على أعرافها ونظمها الاجتماعية والسياسية من خليج السيرت إلى المحيط[332].

الباوار: (Bavares)

أو البابار في بعض النصوص والصيغة ليست بعيدة عن بربر، الاسم الذي روجت له النصوص العربية خلال القرون الوسطى، وصفتهم النقوش اللاتينية بالشعب الكبير (Gentis multus). ظهر هؤلاء الباوار على مسرح الأحداث خلال القرن الرابع الميلادي، وينقسمون إلى الباوار الغربيين (ناحية مسيردا شمالي تلمسان) والباوار الشرقيين في منطقة البابور إلى مشارف كويكول وميلة (القبائل الشرقية) وفيهم الجبليون المستقرون والبدو الرحل، وهو ما جعل بعض الدارسين يميل إلى أن الباوار الغربيين هم أجداد قبائل مسيردا ، والباوار الشرقيين هم أجداد جبلي كتامة في القبائل الشرقية، أما البعض الآخر فيرى بأن الباوار شرقيين وغربيين هم أجداد البدو الكبار من الزناتيين وأن مجالات انتجاعهم هي السهول العليا من سطيف إلى ملوية[333].

البقواط: (Baquates)

قبائل ذكرتها النصوص الأثرية والمصادر الأدبية والبقواط في تعداد شعب أشارت النصوص القديمة إلى مواطنهم من وادي ملوية إلى المحيط ما بين فوليبيليس (وليلي أو آليلي) إلى الأطلس الأوسط، ولكنّهم كانوا على صلة تعاون وتحالف مع قبائل الباوار في المنطقة ما تلمسان و مسيردا ، وقد استمرت هذه القبيلة في إقليمها إلى الفتح الاسلامي. وذكرتها المصادر العربية باسم برغواطة وكان لها نشاط ملحوظ في عهد الولاة[334] .

الجيتول: (Gaetulii)

ظهر اسم الجيتول منذ نهاية القرن الثاني ق.م.، للدلالة على مجموعة قبلية كبيرة ولكنها لا تمثل عرقا متميزا، فالجيتول نوميد في منطقة الصحراء الشرقية ومور في الجنوب الوهراني والمغربي، يعيشون حياة التنقل والترحال وينتجعون ما بين القرامنت شرقا إلى المحيط غربا ويعبرون جبال الأطلس الصحراوي مرتين

خلال السنة، من الجنوب إلى الشمال خلال الربيع ومن الشمال إلى الجنوب خلال الخريف، ويصلون في انتجاعهم إلى السهول العليا بالقرب من سيرتا، ولعلّ حياة البداوة هي التي جعلتهم لا يقيمون دولة مع أنهم شعب محارب ميّال إلى الحياة العسكرية، وذكرت النصوص أن هانيبال جند منهم عددا هاماً، ومثله فعل القائد الروماني ماريوس فقد كانوا في تعداد شعب كبير ومن أقوى الشعوب الليبية، وتشترك المصادر في تحديد موطنهم مابين الأثيوبيين جنوبا والمور شمالا[335].

2.نمط المعيشة:

يستخلص من الوثائق الأثرية والتراث القديم بما فيه من تقاليد وعادات بأن مجتمع الشمال الافريقي القديم ظهر في شكله القبلي منذ فجر التاريخ، والنظام القبلي هو أول النظم التي عرفتها مختلف الشعوب، وعندما تتحول القبيلة إلى قوة سياسية ستظهر الدولة، وكثيرا ما يكون جد القبيلة الذي تحمل اسمه شخصية أسطورية أو رمزية[336].

ويمكننا أن نستخلص من تفسير النصوص استمرار هذه الثنائية في أنماط المعيشة بدو رعاة ومستقرون مزارعون. وربما كان امتهان الرعي وتربية الماشية أكثر انتشارا من احتراف الزراعة لدى النوميديين بصفة عامة خاصة قبل رواج الإنتاج الزراعي " القمح النوميدي بأسواق المتوسط: اليونان وإيطاليا خاصة " ابتداء من القرن الثاني قبل الميلاد[337].

أ.البدو: كانت الحياة القروية أول شكل من اشكال التجمع السكاني، حيث تعود الى أواخر العصر النيوليثي استنتاجا من الأثريات، والملاحظ أن السكان كانوا يختارون أماكن التمركز القروي لتوفر المياه والحصانة الطبيعية[338]، ويقول بلين أن الحياة القروية هي الطابع المميز لعموم الليبيين في القطر القرطاجي، ويميز الحياة في الأرياف تجمع قبلي يرأسه شيخ القبيلة أو العشيرة[339].

ب.الحضر: ارتبط ظهور المدن بمجيء البحارة الفينيقيين للمنطقة، ويتمثل ذلك على الخصوص في المدن الثلاث "سيرتا دوقة وتيفست" التي هي مدن ليبية ماسيلية نوميدية في الأساس، وفي وقت لاحق تطورت الحياة

الحضرية بالاحتكاك بالقرطاجيين ثم الرومان، ونتيجة لهذا الانصهار الروماني ظهور طبقات في المجتمع كالأرستقراطية والكادحة التي صورتها أثارهم كالألواح الفسيفسائية [340].

3.الاسرة:

العائلة الافريقية (البربرية) هي عائلة زواجية، وتنشأ عن هذه الرابطة الزواجية روابط القرابة (الامومة الابوة البنوة الاخوة المصاهرة)، يعيش افرادها متضامنين في مسكن واحد، وتحكمها الاعراف والتقاليد والقوانين وأصول التربية، و العائلة البربرية هي عائلة أغناطية أبوية (تنتمي للنسب الأبوي)، و ممتدة تشمل ثلاثة أجيال الجد الابناء الاحفاد والسلطة تكون فيها للأكبر سنا، [341]، اما عن الابناء فلم تشع ظاهرة التبني والحادثة الوحيدة لذلك كانت مع مكيبسا الذي تبنى ابن اخيه يوغرطة وجاء ذلك لغرض سياسي بحت[342]،ولا ريب أن هذا النظام الأسري كان الشكل الأرقى الذي بلغه المجتمع بعد مراحل طويلة من التطور الاجتماعي الداخلي.

4.الزواج:

يعتبر الزواج تقليدا قديما في المغرب القديم حيث أشار هيرودوت إلى حفلات الزواج عند الليبيين، ويتم الزواج في سن مبكرة، ويشترط على الفتاة العذرية لنقاوة النسب، والزوج هو رأس العائلة حيث تنتقل الزوجة لبيته، ويلزمها العرف بالخضوع والوفاء لزوجها، كما وجدت ظاهرة تعدد الزوجات ولكن على نطاق ضيق، ولم يعرف المجتمع المغاربي القديم طبقية مقننة تحصر الزواج في طبقة أو أسرة، وكان أساسه الاتفاق بين العائلتين وليس باتفاق معزول بين الرجل والمرأة [343].

5. مكانة المرأة:

كانت للمرأة مكانة مرموقة في المجتمع المغاربي القديم، ولم يقتصر دورها في الأسرة بل القيام بدور هو حكر على الرجل لدى أمم أخرى، مثل القيادة العسكرية والسياسية، كما يمنع العرف الاختلاط بالرجال، لذلك لم تكن تتسوق الا المتقدمات في السن اللاتي كن يمارسن حتى التجارة أما الفتاة فتمنع من الخروج من المنزل بعد بلوغها [344].

II.الجانب الثقافي:

1.اللغة:

إن اللهجات القبائلية والشاوية والميزابية والشنوية والتارقية والشلحية، التي مازالت منتشرة في الجزائر والمغرب الأقصى، مشتقة من اللغة الليبية القديمة، اللغة المشتركة لأسلافنا، وقد استطاعوا نقلها إلينا رغم عواقب الدهر والمنافسة التي تعرضت لها عبر التاريخ من لغات دخيلة " بدءا من الفينيقية و اللاتينية والاغريقية "[345]، وقد تميّز المغاربة القدماء عن جميع الوافدين من الفينيقيين وأحفادهم البونيين والرومان بلهجتهم الخاصة[346]، ويفيد المتخصصون ان اللغة الليبية من أقدم اللغات، حيث بدأت تتميز في بلاد المغرب منذ حوالي 8000-7000 سنة مع بداية العصر الحجري الحديث والاوسط[347].

2.الكتابة:

كانت توجد في البلاد المغاربية كتابة خاصة، استخدمت من طرف الممالك المحلية كلها، كما استخدمها المواطنون، وهي تحوي 23 حرفا، على ما يذكر الأسقف فولجانتيوس، وتعرف بالكتابة الليبية واحيانا النوميدية، ومنها اشتقت الكتابة التيفيناغية[348]. وقد اختلفت اشتقاقات الكتابة الليبية، حيث حاول المتخصصون ايجاد اشتقاق لها من الكتابة الفينيقية، وقد وجدت في النصب الجنائزية[349]، ويعد نصب دوقة المزدوج البونيقي الليبي أول وثيقة ليبية مؤرخة بدقة تعود إلى 139 ق.م، وهو عبارة عن كلمة إهدائية من معبد أقيم لماسنيسا في عهد مكيبسا، وكذا نصب آخر مزدوج يخلِّد إقامة ضريح يعود الى نفس الفترة[350]، ونصوص أخرى في مناطق بلاد المغرب مثل جنوب وهران والمغرب الاقصى واقليم طرابلس وبرقة ومناطق متفرقة من الصحراء[351].

كما تعد الكتابة الليبية صوتية، وليست مقطعية مثلما هو في الكتابات القديمة الأخرى، حيث اكتملت شروط كتابتها في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد وتضم 23 حرف[352]، ومنها اشتقت التيفيناغ (Tifinagh)، أقدم شكل منها حسب فيفريي انها عمودية تقرأ من الأسفل الى الأعلى، ووجدت مصفوفة افقيا وتقرأ من اليمين الى اليسار كما هي حال التيفناغ، ويقول فيفري انها انتقالية من الليبية القديمة الى التيفناغ[353].

ويرى فريدريك بأن الكتابة الليبية نشأت نشأة مستقلة، ولا شيء يشركها بالكتابات السامية غير المبدأ وذلك : " لعدم تطابق أحرفها مع أية حروف سامية، أنها تدون الحروف الساكنة الأولية، وأن حروفها مرتبة من الأسفل إلى الأعلى[354] ".

3.الديانة:

كانت بيئة بلاد المغرب القديم متنوعة التضاريس والمناخ، وذلك ما أوحى للإنسان الأفريقي القديم كغيره بالكثير من الأوهام التي بنى عليها معتقداته وصاغ منها طقوسا وشعائر رافقت حياته أجيالا طويلة، مثله مثل الانسان في باقي الشعوب[355] ، فقد عبد الليبيون القدماء آلهة محلية وآلهة أخذوها على الشعوب التي وفدت للمنطقة، فنجد هيرودوت يتحدث عن آلهة محلية عبدها الاهالي تمثلت في الشمس والقمر[356].

كما عبدو آلهة استقدمت من الشرق مع القرطاجيين مثل "بعل حامون" و "تانيت" اللذان انتقلا بنفس المكانة التي كانت في قرطاجة إلى مجتمع الآلهة البوني[357]، كما عبد المغاربة القدامى آلهة الاغريق والرمان مثل: الكبش "آمون "[358] والعجل "قوزيل" والأسد والتنين " دراكون" وآلهة قورينة مثل "جوبتر آمون" [359].

وقد اتخذوا لهذه الآلهة معابد طبيعية في البداية في سفوح الجبال والكهوف ثم تطورت الى اشكال مبنية مثل معبد الحفرة في "قيرطا" الذي يعود للقرن 3 ق.م، وعينت هيئة كهنوتية لإقامة الطقوس الدينية مثل الكاهن الأكبر وكبير الكهنة والكاهنة ورئيسة الكاهنات.

وتشير بعض النقوش والنصوص لوجود أعياد في كامل افريقيا مثل: " اليوم المبارك السعيد " الذي وجد منقوش في دوقة ويوم "نعيم ومبارك" الذي يشير إليه نقش من معبد "تبرسوق".

أما عن الطقوس أشار هيرودوت إلى تقديم الأضاحي وفق مراسيم محددة، ومن ضمن القرابين بواكير الفاكهة الحلويات الخمور والزيوت والعطور، وكذا بعض الأشياء التي تستخدم لتزيين أو تأثيث المعبد مثل المصابيح... [360].

كما تنوعت قبورهم كثيرا، البعض عبارة عن غرف محفورة في الصخر، والبعض الأخر مبني بأحجار ضخمة وهي معروفة "بالدولمن"، أما قبر مكثر اكتشفه" بوفيلى" فهو نموذج فريد من القبور "الميقالتية "

يتشكل من سلسلة من الغرف فوق بعضها البعض مغلقة كليا، كل واحدة منها مسبوقة بشكل مدخل، تتصل به عبر ممر محفور تحت الواجهة مفتوح على فناء مغطى يصل اليه عبر درجات، بالإضافة الى قبور الشوشت التي وجدت في التل والصحراء، وهي قبور مستديرة او هرمية البناء تغطي ضريح، وكذا البازينة في التل والصحراء والحوانيت[361]، وربما هذه الأشكال البسيطة، هي التي تطورت إلى قبور ملكية ضخمة تسمى "المدراسن" وقبر الرومية، وضريحا الخروب ودوقة، متأثرين بالبونيقيين والرومان والاغريق[362].

4.الفنون:

النماذج المتبقية من العمارة النوميدية في مجملها معابد وأضرحة، وتقع خارج المدن، وهو ما يفسر دوامها، ومن بين المعابد التي شيدوها "معبد شمتو" الذي ببنائه الملك "مكوسان" على عشر مراحل من المدينة الملكية في "بولا ريجيا" على أعلى قمة جبل المرمر ومعبد "القليب" [363].

أما عن الأضرحة فقد تجلت بصمة العمارة النوميدية بشكل واضح فيها، مثل الاضرحة الملكية "المدراسن "بالاوراس الذي يعود للقرن الرابع قبل الميلاد، ويعد أكثر اصالة في هيئته الاساسية وفي حجمه، وأضرحة الملوك "المور" في غرب مدينة تيارت المعروفة محليا "بلجدار"[364]، وكذا قبر الرومية في تيبازة ارتفاعه 33م ويمكن ان يصل إلى 40م[365].

أما بالنسبة لما يسمى بالفنون الصغرى فهي أكثر تنوعا، فمن النقش إلى النحت والرسم على الفخار.....[366]، فمن الاواني المزينة والملونة، إلى زخارف هندسية معقدة اشكالها مثلثات مربعات خطوط هندسية تحمل عناصر نباتية او حيوانية وبشرية ، وهو ما يميز عموما كل الفن الزخرفي البربري[367].

المحور التاسع: المغرب في الصراع القرطاجي الروماني

إن سقوط قرطاجة عام 146 ق.م. وتحولها لولاية رومانية يمثل منعرجا حاسما في تاريخ المغرب القديم، حيث خاض الطرفان ثلاثة حروب استمرت من 264 ق.م. إلى 146ق.م. عرفت بالحروب البونية ، وقد بدأ هذا الصراع عندما بدأت تتعارض مصالحهما السياسية والاقتصادية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، خاصة بعد أن احتل الرومان وتوسعوا في معظم شبه الجزيرة الايطالية، وأصبحت لهم ممتلكات في جنوب الجزيرة تواجه مناطق النفوذ القرطاجي في البحر الأبيض المتوسط.

وقد سبق الصراع بين القرطاجيين والرومان علاقات ودية بدليل تلك المعاهدات التي أبرت بين الطرفين قبل ثلاثة قرون من اندلاع الحرب بهدف تحديد منطقة نفوذ كل منهما، ثم تحديد الحقوق والواجبات المتبادلة بينهما في مجال النشاط التجاري، ويرجع تاريخ أول معاهدة إلى عام 508ق.م، تلاها عدد من المعاهدات أهمها معاهدة عام 306ق.م [368].

يعد الصراع القرطاجي الاغريقي ممهدا للحروب البونية، حيث جاء نتيجة نفوذ الإغريق وتأسيس مستوطناتهم في "جنوب إيطاليا وكورسيكا وغالة وبرقة" بداية القرن الثامن قبل الميلاد، ولحد قرطاجة من نفوذهم أحدثت مواجهات عسكرية بين الطرفين في مد وجزر[369]، كان أهمها معركة هيميرا في 480 ق.م، التي انكسرت فيها شوكة قرطاجة وقوتها، مما أدى إلى تغيرات كبرى في سياستها تمثلت في انفصال قرطاجة نهائيا عن الوطن الأم صور، والتنكر لضريبة الأهالي والزحف على اراضيهم لتعويض خسارة سفنها الحربية والتجارية، وقيام القرطاجيين برحلات استكشافية للبحث عن موارد وأسواق جديدة منها رحلة خملكان لسواحل اسبانيا وفرنسا وبريطانيا، ورحلة حنون على سواحل الأطلسي[370].

وتوال الصراع القرطاجي الاغريقي والكفة كانت لصالح قرطاجة في صقيلية حيث أخضعتها كلها تقريبا، ووضعت حامية لها في ميسنا (Messina)، حتى ظهر هيرون السرقوسي، ووضع حدا للفوضى الداخلية، وهزم المامرتيين (أشجع القبائل في صقلية كانوا خاضعين لقرطاجة)، في الوقت الذي أخضعت فيه روما كل شبه

الجزيرة الإيطالية (إغريقيا العظمى) وكانت آخرها ريجيوم (Rhigium) في 270 ق.م [371]، وباستلاء قرطاجة على مسينا وروما على ريجيوم أصبحت الدولتان وجها لوجه[372].

I. الحرب البونية الأولى (264-241 ق.م):

1.هزيمة قرطاجة في صقلية:

كانت المصالح التجارية السبب الرئيس لهذه الحرب، سببها المباشر فهو استنجاد مدينة "مسينا" اليونانية بقرطاج، فهبَّت لنجدتها سنة 264 ،ق.م، وهكذا اندلعت الحرب البونية الأولى. دارت بين روما وقرطاج معركتان بحريتان كان الانتصار فيهما حليف روما، ودعَّمته بانتصار ثالث في معركة بحرية أخرى في جنوب صقلية، عندما اعترض الأسطول القرطاجي الأسطول الروماني المتجه لغزو قرطاج في عقر دارها بأفريقيا.

تعزّزت ثقة الرومان بأنفسهم بعد هذه الانتصارات البحرية الثلاثة، وكان ذلك باستعمال طرق جديدة في مهاجمة السفن القرطاجية. وهكذا تيقن الرومان أن قرطاج لم تعد سيدة البحار بمفردها، فعمدوا إلى تحديها ونقل المعركة إلى أراضيها[373].

2.حملة روما إلى شمال افريقيا:

بعد انتصار أكنوموس "Ecnome" سنة 256ق.م انفتح الطريق أمام الرومان الذين نزلوا بسواحل افريقيا، وتقدم ريغولوس "Regulus" [374]،محاصراً قرطاجة، التي اضطرت إلى التفاوض بعد ثورة النوميديين وصعوبة التموين، لكن شروط ريغلولوس القاسية جعلت القرطاجيين يفضلون الدفاع بالاستعانة بالمرتزق الاسبرطي كاسانتيبوس "Xanthippus" الذي ساهمت تجربته العسكرية في اعادة تنظيم الجيش البونيقي والحاق الهزيمة بالرومان في ربيع 255ق.م[375].

وتوالت هزائم الرومان على يد القرطاجيين في عدة معارك في السنوات التالية على التوالي من بينها "253ق.م، 250ق.م،وفي سنة 249 ق.م. تمكن القرطاجيون بقيادة "عزوبعل"" Adherbal" و"قرثلون " "Cartalon" بهزيمة الأسطول الروماني بقيادة بوبليوس كلوديوس، ولكنهم لم يستغلوا الفرصة في الإطاحة

نهائيا بروما في صقلية وجزر البحر المتوسط بل توجهوا إلى التوسع على أراضي نوميديا[376] وذلك لأن روما قد انتهزت فرصة غزو القائد الروماني ريغولوس لتنقضّ على أملاك الدولة القرطاجية[377].

وبتجّدد الصراع في 247 ق.م، دخلت الحرب مرحلتها الأخيرة، حيث تمكنت روما من بناء قوتها من جديد، وعجزت قرطاجة عن دفع أجور المرتزقة الذين ثاروا ضدها في كل من "سيكا وسردينيا"، كما ثار الليبيون الذين أضنتهم الحرب بقيادة ماتوس، مما تسبب في استنجاد سكان بروما التي استغلت الفرصة وفرضت معاهدة جديدة على قرطاجة سنة238ق.م.

تمكن القائد القرطاجي "عبد ملقرت" من إخماد الثورة المرتزقة سنة 238 ق.م بعد ثلاث سنوات وأربعة أشهر من اندلاعها، فحصل على ثقة الشعب بقرطاج الذي عينه حاكماً للبلاد وقائداً للجيش. وسعى "عبد ملقرت" إلى إعادة النظام الديمقراطي بقرطاج، وبذلك نجح في إعادة الهيبة لقرطاج باستتباب الأمن الداخلي وبالتوسع في جنوب إسبانيا لاستغلال مناجم الفضة والذهب بتلك الربوع. واستمر صهره "عزر بعل" في هذا التوجه التوسعي بإسبانيا بعد وفاة "عبد ملقرت" سنة 229 ق.م، وعزّزه خلفه "هنيبعل" بعد وفاة "عزر بعل" سنة 221ق.م، واعتبرت روما أنَّ ما قام به "هنيبعل" من حصار "صاغونتة" الإسبانية هو خرق للمعاهدة المبرمة بين الطرفين سنة 226 ق.م، فاندلعت الحروب البونية الثانية.[378].

II.الحرب البونيقية الثانية (218-201 ق.م):

1- تحالفات ملوك نوميديا:

يشير تيتوس ليفيوس بأن علاقة الصداقة بين قرطاجة ومملكة سيفاكس" نوميديا الغربية" لم تستمر على ماهي عليه، بل نشبت حرب بين الدولتين من جراء انحياز قرطاجة إلى جانب الملك غايا ملك نوميديا الشرقية، ونتيجة لهذه الحرب وميول سيفاكس نحو أعدائها الرومان، عدلت من سياستها وذلك بتراجع قرطاجة عن مساعدة غايا والاقتراب أكثر من سيفاكس حيث زوجته بالأميرة القرطاجية "صفونيزبة" (Sohponisbe)التي شاركته بالحكم الوقت[379].

حاول سيفاكس التوسط بين قرطاجيين والرومان، لأن أمن شمال افريقيا في رأي سيفاكس بات مهددا، بعقد مؤتمر "سيقا" الدولي سنة 206ق.م. الذي تفرق فيه أعضائه دون إيجاد حل لتلك الحرب التي أقلقت الجميع، وبموجب الاتفاق المشار إليه أرسل الملك "سيفاكس" سنة 204 ق.م. مبعوثين للقنصل الروماني سيبيون الذي كان يعسكر في سيراقوصة يخبرونه من أنه إذا نقل الرومان الحرب إلى شمال إفريقيا، فإن جيوش الملك سيفاقس ستحارب إلى جانب القرطاجيين ضد الرومان، غير أن القائد الروماني سيبيون لم يعبأ بذلك، وقد نقل الحرب إلى شمال إفريقيا حيث نزلت الجيوش الرومانية بالقرب من رأس "أبولون " Appolon "وهو ما يعرف حاليا برأس سيدي علي المكي شرقي خليج تونس، ثم حاصروا بعد ذلك مدينة أوتيكا[380].

عندما اشتدت إذاءات ماسنيسان لقرطاجة الذي بعثه أبوه غايا ليقاتل إلى جانب قرطاجة في إسبانيا، بعد أن غير تحالفه بوفاة أبيه غايا وتأكده بأن النصر سيحالف الرومان، غير نظره في القرطاجيين محاولا ربط علاقات جديدة مع الرومان، في نفس الوقت كلفت قرطاجة الملك سيفاكس بحكم المصاهرة والتحالف لرد تلك الاعتداءات، وذلك نظرا لانشغاله أيضا بالحرب الثانية بين روما وقرطاجة، أين كان له أول اصطدام مع ماسينيسان الذي بعثه أبوه غايا ليقاتل إلى جانب قرطاجة في إسبانيا وكان ذلك في 212 ق.م[381].

بعد معركة السهول الكبرى فتح الباب على مصرعيه أمام ماسنسان بعد القضاء على غريمه سيفاكس، خلا الجو لماسنسان وبمساعدة روما استطاع أن يجمع الأجزاء الضائعة من مملكته، فبعد أن فرّ فرمينا الذي فشل في استرجاع مملكة ابيه احتل ماسنسان كامل مازيسيليا إلى غاية نهر ملوية، كما توسع نحو الشرق منتهزا فرصة الظروف الصعبة التي تمر بها قرطاجة[382]، ووحّد المملكة في 203 ق.م[383].

2- الصراع في ايطاليا:

خططت روما لتسمير حنبعل في اسبانيا الذي كان قد خاض مع ابيه هاميلكار حروبا في اسبانيا لمدة سبع سنوات[384]، ولكن يبدو أن الرومان لم يقدروه حق قدره، وكان قد دبر بدوره وسمر القوات

الرومانية بإيطاليا بنقل ميدان الحرب إليها، فكانت بذلك ميادين الحرب البونيقية هي: ايطاليا واسبانيا وافريقيا.

وبوفاة ابيه وصهره صدر بعل تولى قيادة الجيوش مع أخيه صدر بعل، وكان له الدور البارز في الحرب البونيقية الثانية حيث نقل الحرب إلى روما وهدّدها في عقر دارها، بأن عبر البرانس والألب مع خمسين ألف من المشاة وتسعة آلاف من الفرسان وسبعة وثلاثون فيل.

وبالرغم مما قاساه في رحلته هذه من قساوة الطقس كان عناصر جيشه يموتون أمام عينه ، وكذلك تعرض لمضايقات القبائل الجبلية، إلا أنه عبر البو برفقة عشرين ألف من المشاة وستة آلاف من الفرسان وواحد وعشرون فيل، ونجح في كل مواجهاته: معركة تسيتو (Tessin) في خريف 218 ق.م، ومعركة تربيه (Terbie) في ديسمبر 218 ق.م، ومعركة ترايزمين (Lac Trasimène) في جوان 217 ق.م[385]، ومعركة معركة كاناي (Cannae) في أوت 216 ق.م[386].

3- الصراع في اسبانيا:

بعد الانتصار البحري الأول للأخوين بوبليوس وكينيوس سكيبيو عند مصب نهر الايبرو سنة217ق.م ، واسترجاع ساغنتة والانتصار على صدر بعل سنة 216 ق.م ، الذى عجز عن الالتحاق بشقيقه في ايطاليا، وصل الرومان إلى الوادي الكبير (Guadal quivir) ، وعقدوا حلفا مع سيفاكس ، ملك نوميديا الغربية ضد قرطاجة [387].

بعد هزيمة ووفاة الاخوين سكيبيو سنة 211 ق.م والتراجع الى ما بعد الايبرو تحت الضغط البونيقي – النوميدي (ملك ماسنسان) ، أرسلت روما بوبليوس كورنيليوس سكيبيو - سكيبيو الافريقي - الى اسبانيا سنة 210 ق.م ، واستولى على قرطاجنة سنة 209 ق.م ، وهزم صدر بعل الذي تمكن من الافلات بعد اشتباك عنيف مع سكيبيو سنة 208 ق.م ، واجتاز جبال البرانس ، ووصل غالة التي قضى بها فصل الشتاء قبل أن يجتاز في الربيع الموالي جبال الالب لدعم شقيقه، لكن الهزيمة كانت الى جانبه في معركة ميتور يونيو - يوليو 207ق.م ، حيث لقي مصرعه .

وقد عاد النصر مرة أخرى حليف سكيبيو سنة206ق.م، وتوغل الرومان في اسبانيا الجنوبية، وبذلك عاد سكيبيو إلى روما حيث انتخب قنصلا، وبدأ يحضر للحملة على افريقيا[388].

4-الصراع في افريقيا:

أسرعت قرطاج، أمام هذا الخطر الداهم إلى استدعاء حنيبعل من جنوب إيطاليا. والتقى الجيش القرطاجي بقيادة حنيبعل بالجيش الروماني بقيادة سبيون في معركة «جامة» زاما، الواقعة على بعد 8كلم من مدينة سليانة الحالية، وقد نزل حنبعل في حضرموت وبها أعدّ لمعركته الفاصلة زاما (19 أكتوبر 202ق.م)، وقد كان سكيبيو قد حضّر لمعركته بان تحالف مع ماسينيسا الذي كان قد انتصر على غريمه سيفاكس، وفي المواجهة اعتمد حنبعل على الفيلة في المقدمة ولكن ماسينيسا قد أشار على سكيبيو بأن أحداث فجوات واسعة بين صفوف الفيلة وبث الذعر فيها بقرع الطبول، ثم تنظيم حركة التفاف عندما ترجع على أعقابها وتشتت الجيش ليستغل سكيبيو وماسينيسا الفرصة ويهاجما حنبعل وجيشه، وانهزم هذا الأخير وعلى إثر ذلك اضطرت قرطاجة إلى القبول بمعاهدة زاما في 201 ق.م[389]، وهزم جيش قرطاج هزيمة ساحقة بسبب الدور الذي لعبه الجيش النوميدي الحليف لروما والمعادي لقرطاج. وتم إثر هذه الهزيمة إبرام معاهدة بين الطرفين سنة 201ق.م، ثبتت تفوق روما، وشلت القدرات العسكرية لقرطاج وخاصة البحرية منها، واقتصر نفوذها على المجال الترابي بعد أن استولى مسنسان قائد الجيش النوميدي على قسم كبير منها[390].

بنود معاهدة زاما 201 ق.م:

-أن تحتفظ قرطاجة باستقلالها (لا تقيم روما حامية عسكرية فيها) وتحتفظ بكل ممتلكاتها في إفريقيا التي كانت لها قبل بداية الحرب الثانية.

-أن تسلم قرطاجة كافة العبيد الفارين والأسرى لروما.

-أن تسلم قرطاجة ما تملكه من سفن باستثناء 10 سفن ثلاثية وكل الفيلة وتمتنع عن ترويضها من جديد.

-أن لا تدخل قرطاجة في حرب دون موافقة روما.

-أن تعيد لماسينيسا كل أراضيه وأراضي أسلافه.

-أن تمد قرطاجة جيش روما بالمؤن والأجور لثلاثة أشهر حتى تتم المصادقة على المعاهدة.

-أن تدفع قرطاجة غرامة مالية حربية تبلغ 10000 وزنة أوبية من الفضة على أقساط موزعة على 50 سنة.

-أن تسلم قرطاجة 100 رهينة يختارها القائد لا تقل أعمارهم عن 14 ولا تزيد عن 30 كضمان لتنفيذ بنود المعاهدة [391].

حاول هنيبعل بعد هزيمة «جامة»، أن يُصلح ما فسد من النظام الإداري والسياسي بقرطاج وخاصة الشؤون المالية والقضائية لكن الطبقة الأرستقراطية لم يرقها هذا الإصلاح لأنه مس مصالحها، فتواطأت مع روما للتخلص منه سنة 195 ق.م، فاضطر هنيبعل للجوء إلى أرخبيل قرقنة، ومن مرفأ تسرسينا خرج ليلاً متجهاً إلى صور. وبعد مناورات قام بها الرومان لإفساد سمعته لدى من حلَّ في بلاطاتهم من ملوك آسيا الصغرى قرر هنيبعل أن ينتحر حتى لا يقع في قبضة الرومان، وكان ذلك سنة 183ق.م، وعمره 63سنة[392].

III. الحرب البونيقية الثالثة (149-146 ق.م):

1.توسع ماسنسان على أراضي قرطاجة:

اختلفت التحالفات بعد الحرب البونيقية الثانية، حيث انتقلت نوميديا من حليف لقرطاجة إلى عدو، وحليف يسهر على مصالح روما في المنطقة، خاصة وان هذه الاخيرة قد منحت ماسنسان حق استرجاع أملاك أجداده، فامتدت على إثر ذلك حدود مملكة نوميديا شرقا عام 170 ق.م، وشملت 70 مدينة كانت تحت سيطرة القرطاجيين، كما استولى على المدن الساحلية التجارية الواقعة على الساحل الشرقي بشمال وجنوب قابس والتي كانت تمثل عصب التجارة القرطاجية بين الصحراء الافريقية وعالم المتوسط.

وقد كان ماسينيسا يهدف من خلال توسعه على حساب قرطاجة من بسط نفوذه عليها وتوحيد بلاد المغرب تحت قيادته، وعلى الرغم من أن ماسينيسا كانا حليفا لروما إلا أنها كانت تعلم بما يترتب عن تلك المطامح الإقليمية من مخاطر على المصالح الرومانية المتنامية في إقليم البحر الأبيض المتوسط، فكان قرار تدمير قرطاجة حرمان ماسينيسا من أن تصل يده إلى قرطاجة وبالتالي قطع الطريق أمامه[393].

2 .تدمير قرطاجة:

استغل ماسينيسا بندا من بنود معاهدة الذي يخول له باسترجاع ممتلكاته وممتلكات أجداده من قرطاجة، وسعى للتوسع على حسابها والتي بدورها تجهّزت للحرب دفاعاً على أراضيها، وهو الأمر الذي تذرّعت به روما للتدخل سنة 149 ق.م بدعوى خرق بند من بنود معاهدة زاما، وهو أن قرطاجة أعلنت حربا دون استشارة روما التي كانت ترقب أعمال ماسنسان دون أن تحرّك ساكناً، وبذلك باتت نوايا روما ظاهرة للعيان بحيث لم تكن تنتظر إلا سببا مباشرا يمكّنها من بسط نفوذها على الأراضي الافريقية على الرغم من ان ماسنسان كان حليفا لها، فأرسل الرومان حملة إلى افريقيا سنة 149 ق.م بجيش يتألف من ثمانين ألف من المشاة وما يقارب أربعة آلاف فارس، في بداية ربيع 149ق.م، بقيادة القنصلين: "ماركوس مانيليوس" على الجيوش البرية، أما "لوكيوس ماركيوس كونسورينيوس" على الجيوش البحرية[394].

وقد أعلن القرطاجيون قبولهم التفاوض مع ما يترتب عليهم من شروط رومانية، غير أنهم سرعان ما تراجعوا عن ذلك بعد ان اشترطت عليهم روما الخروج من قرطاجة وبناء مدينة جديدة بعيدة عن البحر،

فقرّروا المواجهة وتحضروا لذلك في مدة قصيرة، لكن سكيبيو استولى على المدينة التي دمرها وأعلنها مقاطعة رومانية وفصل بينها وبين أراضي المغاربة بخندق ملكي يسمى (Fossa Regia)[395]، وبذلك تنطفئ هذه المدينة التي حكم عليها بالإعدام بعد الحرب البونيقية الثالثة، وتحولت أراضيها إلى مقاطعة رومانية سنة 146ق.م، بعد اشعاع دام أزيد من ستة قرون(814-146ق.م).

3. وراثة العرش النوميدي:

اختلف الإخوة الثلاثة فيما بينهم بعد وفاة والدهم في سنة 148 ق.م بعد أن أعلنت روما حربها على قرطاجة وقطعت الطريق عليه، وربما فهم ماسينيسا أخيرا أهداف روما في المنطقة فقد ردّ على طلب القيادة الرومانية بتزويده بالرجال بقوله "سأرسلهم إليكم عندما أرى أنكم في حاجة إليهم"[396].

استغلت روما وفاته بتقسيم المملكة النوميدية، ولذلك كان على سكيبيو أميليانوس أن يجعل على رأس المملكة حكما ثلاثيا بين أبناء ماسينيسا الثلاثة: مكيبسا (مكوسن/ مسيبسا)، وغلوسة ومسطنبعل، مدعيا بأن ذلك كان موجودا عند النوميديين في مدينة دوقة ومكثر، حيث كانت تسير من قبل ثلاثة شوفات، ولكن ذلك كان في الحقيقة بنية تقسيم نوميديا وإضعافها[397]، وقد توفي كل من مسطنبعل وغلوسة بعد وفاة والدهما بسنوات قليلة يقول سالوست بسبب المرض دون ان يكون لهما تأثير سياسي في المملكة، وانفرد مكيبسا بالحكم متبعا سياسة والده بأن يحافظ على ولائه لروما، خاصة وان فترة حكم مكيبسا اتسمت بالاستقرار ومجاملة الرومان[398]، حيث انفرد موكسن بالحكم بعد وفاة أخويه ودام حكمه ثلاثين سنة[399].

وتجدر الإشارة إلى أنه بعد وفاة الملك مكوسن كانت نوميديا قد دخلت طورا جديدا تميز بالانحطاط الفكري والصراعات اللامتناهية. وقد حاول بعض الملوك أن يعيدوا لها مكانتها، ويتمثل ذلك في الملكين "يوغرطة" و"يوبا الأول"، إلا أنهما أخفقا في ذلك، ومما زادها اضطرابا تدخل الرومان المباشر في شؤونها الداخلية وكذلك دور الجاليات الأجنبية لاسيما الإيطالية منها والتي كانت متمركزة في مدينتي سيرتا عاصمة المملكة وباجة بتونس، وذلك ما عرف خلال التاريخ النوميدي بفترة الضعف والتبعية اللذين مرت بهما الدولة النوميدية[400].

المحور العاشر: مراحل الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم

يعتبر القضاء على قرطاجة عام 146 ق . م، من أبرز مظاهر السياسة التوسعية التي انتهجها الرومان ازاء شعوب البحر الابيض المتوسط. وكان لهذه السياسة جذور عميقة في التاريخ الروماني، ترجع الى القرن الخامس قبل الميلاد. وقد اتصفت الحركة التوسعية الرومانية في مراحلها الاولى بالبطء والتدرج . لكنها تسارعت مع الزمن وعظمت آثارها الاستعمارية ، ويمكن تشبيهها مجازيا على انها عبارة عن عملية ابتلاع بطيء للجيران في ايطاليا، تحول الى سرعة في الازدراد، ابتداء من الحروب البونية الاولى والثانية، حيث أدت الى مكاسب اقليمية هامة، حصل عليها الرومان خارج شبه الجزيرة الايطالية، فتمكنوا من السيطرة على شعوب البحر الابيض المتوسط الغربي بعد تحطيمهم لدولة قرطاجة في الحرب البونية الثالثة[401].

I.اسباب الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم:

1. الأسباب اقتصادية:

*تراجع الزراعة الرومانية في شبه جزيرة ايطاليا بسبب الحروب التي سمحت للطبقة الغنية بالاستحواذ على اراضي شاسعة في وسط وجنوب ايطاليا، وتحول أصحاب الاملاك الصغار الى أجراء لدى الملاك الكبار إما بالإغراء او بالتراضي أو بالقوة[402].

*اختفاء المزارع الصغيرة والمتوسطة التي كانت تساهم في انتاج الحبوب وتعويضها بالزراعات النقدية والصناعية مثل الزيتون والكروم.

*إفلاس العديد من المزارع بسبب منافسة قمح المستعمرات المجاني (سردينيا اسبانيا افريقيا مصر) او زهيد الثمن كضريبة عينية[403].

*فتح أبواب نوميديا الحاجة الى موارد جديدة لتوفير المساعدات الغذائية المجانية لبطالي روما تفاديا للمشاكل التي قد تنتج عن تزايد عددهم في المدن[404].

*توسيع التجارة الرومانية ، وتتجلى مثلا في سيطرة الرومان على مضيق ميسانا"Messans" الذي يشكل همزة وصل بين السواحل الشرقية والغربية بجنوب ايطاليا، حيث يعد معبرا هاما للتجارة، وتزايد السكان وتزايد مطالبهم للكماليات من جهة اخرى[405].

*خيرات المغرب فيما يخص القمح والشعير الذي كان يوجه في كثير من المرات كوسيلة سلم مع قرطاجة ونوميديا فيما بعد[406].

2. الأسباب سياسية:

*توطين الجنود في المستعمرات بحصولهم على قطع اراضي في المغرب مثل ما حدث مع جنود ماريوس المسرحين بعد القضاء على يوغرطة[407].

*كسب المسؤولين شعبية في وسط العامة بتمكين الجنود من الحصول على أراضي في المستعمرات.

*سعي المسؤولين الرومان لكسب تأييد المواطنين في الانتخابات لنيلهم المناصب العليا أو المحافظة عليها[408].

*توفير الاموال للحملات الانتخابية بمكاسب مالية من الحروب التي تجبر السلطة على خوضها.

*حفظ الامن والاستقرار في روما بتوجيه العناصر العاطلة عن العمل الى المستعمرات أو توفير وجبة مجانية لها تكفيها عناء اثارة المشاكل في روما[409].

3. الأسباب اجتماعية:

*التخلص من العناصر العاطلة عن العمل التي يمكن ان تحدث شغبا لأنها افلست من جراء الازمة الاقتصادية[410].

*تفكيك بوادر الوحدة التي ظهرت في المغرب في محاولات سيفاكس وماسنيسا فيما يسمى سياسة فرق تسد.

*صراع الحضارات بالقضاء على اليونان وقرطاجة وفرض حضارتها التي بنتها على عاتق الشعوب المهزومة وعمدت الى تطبيق سياسة الرومنة في كل مجالات الحياة[411].

II.مراحل الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم:

1. سقوط قرطاجة (146 ق.م):

بعد نقل الحرب إلى بلاد المغرب حسب ما ورد عن بعض المؤرخين، أن هدف سيبيون يتمثل في سببين رئيسيين، أولهما تقوية جانب ماسينيسا في المطالبة بحقه في وراثة العرش نوميديا الشرقية، أي الحيلولة دون وحدة نوميديا بطرفيها، أما ثاني فقد كان يتمثل في ارغام قرطاجة على دعوة القائد حنبعل من شبه الجزيرة الإيبيرية والعودة للبلاد لدفع الخطر الذي يهددها فيها.

بمجرد ان بلغ ماسنسان نبأ الحملة الرومانية على بلاد المغرب القديم اتصب بقائدها ليليوس بغية تمهيد الطريق للقنصل الروماني سيبيون ،وفعلا نزل هذا الأخير بالقرب من أوتيكا وعسكر بالقرب منها،

وقد حققت روما الكثير من الانتصارات على حساب قرطاجة، وانتهت الحرب البونيقية الثانية بمعاهدة قاسية " زاما "على قرطاجة انسحبت بموجبها من ايطاليا واسبانيا وكورسيكا وسردينيا وصقيلية وجنوب بلاد الغال، بالإضافة الى انها قامت بتسريح الاسرى وتسليم الاسطول القرطاجي والفيلة، وتعويض خسائرها بالتقسيط في ظرف 50 سنة والتزامها بعدم شن اية حرب خارجية دون مشورة روما[412].

استغل الرومان الفرصة بفشل حنبعل واسترجاع ماسنسان لعدة مدن وقرى نوميدية كانت قد ضمتها قرطاجة، وتصدي هذه الاخيرة له اعتبرته روما خرقا لمعاهدة زاما، واعلنت الحرب عليها في 149ق.م وانتهت سنة 146 ق.م بتدميرها، وقد حوّل سكيبيو أراضيها الى مقاطعة رومانية (Provincia Africa) وفصلها عن باقي الاراضي النوميدية بالخندق الملكي (Fossa Regia)، فكانت اولى مراحل الاحتلال التي جعلت روما تضع أقدامها في المغرب بعد ان قضت على سيدة البحر الابيض المتوسط وحلت محلها[413].

2. احتلال نوميديا (46 ق.م):

ازاحة قرطاجة بنهاية لحرب البونيقية الثالثة فتح أبواب إفريقيا أمام روما، ولكنها انتهجت في ذلك سياسة التوسع التدريجي، وقد استغل الزعماء الرومان السياسيون والعسكريون طموح الملوك والأمراء الأفارقة المتصارعون، وسعيهم لكسب المساعدة من أصحاب السلطة في روما لتقوية نفوذهم، كما زرعت

خلافات وعداوة بين الملوك والامراء الأفارقة ،تنفيذا لمبدأ فرِّق تسد خدمة لمصالحها، فكان الملوك والامراء الأفارقة اتباعا لروما يستجيبون لإرادتها، ابتداءً من مكيبسا وابنيه وحتى يوغرطة في البداية، فقد تصرف أبناء مكيبسا وكأن نوميديا مقاطعة رومانية وهم وكلاء روما فيها[414]، كما جاء في خطبة يوغرطة في مجلس الشيوخ الروماني "بأنه وكيل لروما ذات السلطة في مملكة نوميديا" حتى أن روما أرسلت لجنة أشرفت على تقسيم نوميديا بعد موت والدهم مكيبسا فنال كل منهم القسم الخاص به[415].

ولم يبقى الحال كما هو عليه طويلا فسرعان ما قاد يوغرطة مقاومة ضد روما، وبدأ بتصفية اخويه بالتبني الموالين لها، فكانت البداية باغتيال هيمبصال ثم محاربة آذربعل وقتله ومن سانده من الجالية الرومانية المقيمة في المدن النوميدية، وأبرزها عاصمة المملكة قرطا التي اقتحمها وقتل فيها الكثير من الرومان[416]، الامر الذي أثار روما، فشنت عليه حربا توالى على قيادتها قادة أشداء كان آخرهم ماريوس ومساعده سيلا الذي تحالف مع بوخوس ملك موريطانيا، وألقت روما القبض على يوغرطة في خريف 105ق.م[417].

وقد عملت روما على تغيير الخارطة الجيوسياسية للمغرب القديم، بأن اقتطعت أجزاء غرب نوميديا منحتها لحليفها بوخوس، وأجزاء شرقية من نوميديا ضمتها لمقاطعة أفريكا الرومانية، دخلت بذلك نوميديا مرحلة من التدهور، فقدت بها سيادتها على جل أراضيها وأصبح مصيرها مرتبط بروما، حتى ان ملوكها كانوا بمثابة اتباع، وهو ما مهَّد لاحتلالها، كما باتت تتأثر بما يحدث في روما مثل الحرب الاهلية التي عرفتها روما في القرن الأول قبل الميلاد[418]، قامت بين يوليوس قيصر وبومبي، وقف فيها يوبا الأول مؤيدا لأتباع بومبي، فترتب عنها انتصار هذا الأخير ، وقضى على اتباع غريمه في المغرب ومنهم يوبا الأول في معركة تابسوس (Thapsus)في 46 ق.م[419].

تغيرت من جديد خريطة المغرب القديم وضمت روما نوميديا (الأقاليم الشرقية الخصبة) وأعلنتها مقاطعة رومانية أسمتها أفريقيا الجديدة (Africa Nova) وعيّن على رأسها صديقه سالوستيوس مؤلف كتاب حرب يوغرطة[420] برتبة بروقنصل، واطلقت على مقاطعة افريقيا الرومانية أفريقيا القديمة (Africa Vetus)،

ومنحت الجزء الغربي منها لبوخوس الثاني حليف قيصر وامتدت مملكته إلى وادي أمساقا (الوادي الكبير)، كما منحت إقليم الشمال النوميدي الواقع غربي مدينة قيرطا للمرتزق سيتيوس (Sitius) وجنوده الذين ساعدوا قيصر في حربه في افريقيا[421].

3.احتلال موريطانيا (40 م):

خلّف سقوط مملكة نوميديا على يد الرومان بعد 46 ق.م ظهور ملك نوميدي على قدر عال من الكفاءة الحربية والقوة والتنظيم جعله ذلك محط محبة الشعب له، والاهم من ذلك أنه كان رافضا للوجود الروماني يسعى لإعادة أملاك ابيه ماسنسان الثاني[422]، هو آرابيون (Arabion) ابن ماسنسان الثاني الذي كان يحكم المزاق ثورة ضد الوجود الروماني، وعلى الرغم من أنه قضى على سيتيوس وأزاح بوخوس الثاني عن الجناح الغربي من مملكة نوميديا السابقة، إلا ان ثورته قد فشلت بمكيدة أودت بحياته ووضعت حداً لطموحاته[423].

بعد وفاة بوخوس الثاني في سنة 33 ق.م بقيت مملكة موريطانيا دون وريث للعرش، ومن المرجح أن روما في البداية سيَّرتها عن طريق واليين من طبقة الفرسان، ولكنها في 25 ق.م حكّمت عليها ملكا أمازيغيا هو يوبا الثاني إبن يوبا الأول؛ فبعد القضاء على مقاومته أخذه قيصر وهو بعمر الخمس سنوات ورباه في البلاط الملكي في روما، وعندما ولّاه على موريطانيا اتخذ اسما لعاصمته "القيصرية" بدل اسم يول (شرشال) تكريما لقيصر[424]، وقد كان وفيا لروما حتى على حساب سكان موريطانيا، وقد بقي على ولاءه لروما إلى غاية وفاته سنة 23 م، حيث ساعد القوات الرومانية في إخماد الثورات التي قامت في عهده مثل ثورات الجيتول في سنة 6 ق.م، وثورة تاكفاريناس (17- 24م)، وبعد وفاته سار ابنه بطليموس على خطاه في محاربة تاكفاريناس، وظل وفيا لروما إلى ان قرّر الإمبراطور كاليغولا إنهاء وجود موريطانيا، فاستدعى بطليموس لروما وقتله وضم نوميديا في 40 م، وقامت روما بتسخيرها لخدمة المجتمع الروماني[425].

III.توسيع حدود الإمبراطورية (الليمس):

امتازت المراحل الأولى لروما في سياستها التوسعية بالبطء والتدرج وإخضاعها للشعوب الضعيفة من اجل الكسب والسيطرة[426]، وإن كانت الحدود الشمالية والغربية للمغرب القديم واضحة، فإن الحدود الشرقية والجنوبية قد تعرضت لتغييرات كثيرة بين القرن الأول والثاني ميلادي[427].

1.مفهوم الليمس:

هو جهاز عسكري معقد ومرن في نفس الوقت، هو معقد في مكوناته ومرن في تطوره الدائم وتكيّفه مع مختلف الأحداث التي تعرفها منطقة المغرب القديم، وهو حد فاصل بين أراضي الإمبراطورية الرومانية وأراضي الشعوب المعادية لها، ويتكون من ثلاثة عناصر أساسية أضيفت إلى بعضها البعض تدريجياً، وهي الخندق (Fossatum) الذي تتخلله أبراج وحصون ومراكز مراقبة، وثانيا أبراج وقلاع محصنة منعزلة، وأخيراً شبكة الطرقات الاستراتيجية، وهي تمثل منطقة عازلة لا يقل عرضها في بعض الأماكن عن 60 كم مثل ليمس الحضنة، ويجدر الإشارة إلى أن الغرض من إقامة الليمس خلال القرنين الأول والثاني كان هجوميا ولكنه أصبح دفاعيا في القرن الثالث، ويتوقف تطوره على حسب شخصية الإمبراطور وسياسته التوسعية وإمكانياته المادية من جهة، وكذا حسب الخطر الداخلي والخارجي ومدى قوته من جهة أخرى[428].

2. الحدود في القرن الأول والثاني ميلادي:

اكتفى الرومان بالشريط الساحلي الضيق إلى الغرب من قابس عند الضفاف الشمالية لشط الفجاج، ثم يتجه شمالاً نحو قفصة وتبسة، ثم إلى شمال الأوراس وجبال الحضنة وسهول سطيف ومجانة حتى يصل إلى سور الغزلان (Auzia)، ثم تنزل غرباً إلى البرواقية ويساير وادي شلف باتجاه مليانة عين الدفلى وإلى الغرب تجتاز غليزان المحمدية وسيق وتنتهي عند مليلية ونجد منطقة أخرى خاضعة للرومان إلى الغرب من طنجة إلى سالا[429].

3. الحدود في القرن الثالث ميلادي:

في أواخر القرن الثاني ميلادي طرأ على خط الليمس السالف الذكر تغييرات بسبب الحركة التوسيعية التي قام بها الأباطرة جنوباً، وقد بلغت هذه الحركة أوجها في عهد الاسرة السيفيرية (193-235 م)، وذلك سعيا لتحصين ومراقبة المراكز الرومانية بهدف صد غارات القبائل الرحل التي تهدد هذه المراكز[430]، ففي طرابلس امتد جنوب سهل جفارة الذي يفصل الصحراء عن البحر، كما أقيمت حاميات دائمة في بونجم وغارية الغربية وغدامس، وإلى الغرب من قابس ضم جنوب شط الفجاج وواحتي نفطة وتوزر الواقعتين بين شط الجريد وشط الغرسة، ووضعت حاميات في نقرين بادس مليلي والدوسن، وتتوجه إلى بوسعادة وبوغار ثم يتجه إلى ثنية الحد تيارت فرندة تقريماري سيدي علي بن يوب وواولاد ميمون تلمسان ولالة مغنية، كما أقيمت المراكز الأمامية أهمها: مركز دمد قرب مسعد ومركز جميلاي، ويظهر أيضا إلى الجنوب من الرباط[431].

IV. السياسة الرومانية في بلاد المغرب القديم:

اتسم الاحتلال الروماني لبلاد المغرب بطابع التدرج البطيء والتروي الشديد ، أما الجهاز الاداري الذي وضعه الرومان لهذه البلاد ، قد اتصف هو الآخر بنوع من التدرج ، في تحويل الانظمة الادارية التي وجدوا عليها البلاد الى انظمة رومانية محضة . كما كانت السياسة الادارية الرومانية تتصف بالمرونة[432] التي تطلبها التطورات السياسية والعسكرية في اطراف الامبراطورية ، وتقتضيها الاهداف العامة المتوخاة من الوجود الروماني في المنطقة المغربية ، وهي أهداف يمكن حصرها في العمل على تثبيت السيطرة الرومانية في البلاد ، وتهيئته النفسية المغربية لقبول الحضارة الرومانية بمختلف مظاهرها ، أي الاقبال على "الترومن " [433].

ويمكن ابراز بعض الاوجه للمرونة الادارية في الاساليب التالية :

1- اللامركزية الادارية:

يقصد بهذه التسمية عدم تجميع السلطة الادارية لكافة المنطقة المغربية الخاضعة للرومان في مدينة معينة، وتحت قيادة مسؤول روماني واحد ، واتباع سياسة تعتمد على تقسيم المنطقة الخاضعة الى وحدات ادارية "ولايات " مستقلة عن بعضها في السلطة ، وربط هذه الوحدات بالإدارة المركزية في روما مباشرة[434] . وذلك لتحقيق مايلي:

*- حيث هذه التجزئة تمكن حكامها من السيطرة عليها.

* - تسهيل عملية الجباية المتنوعة،

* - تركيز الجهود في اخضاع العناصر الوطنية الثائرة.

*- يخول للحكام المحليين سلطات واسعة لاتخاذ الاجراءات الرادعة السريعة دون الرجوع إلى السلطة العليا في روما.

*- قطع الأمل على الحكام الطموحين في التمرد ضد السلطة المركزية.

2- المناطق المدنية والناطق العسكرية:

صنف الرومان بلاد المغرب إلى نوعين من الأقاليم الادارية، تبعا لدرجة التوغل النفوذ الروماني، ومدى خضوع السكان لها.

شمل الاقليم الأول "الاداري" المدن التي مضى على احتلالها زمن طويل، وقد وضعت الولايات المدنية تحت سلطة حاكم يتمتع بالعضوية في مجلس الشيوخ، وكان اقليم قرطاجة يتمتع بهذا النوع من الحكم المدني، ثم تبعه اقليم نوميديا الشرقية منذ اعلانه ولاية رومانية جديدة عام 46ق.م.

أما الاقاليم التي كانت ماتزال ميدانيا لنشاط الحركات الوطنية المناهضة للاستعمار الروماني تعتبر مناطق عسكرية، أو ولايات امبراطورية، يشرف عليها ضباط سامون يعينون من طرف الامبراطور، ولا دخل لمجلس الشيوخ في تعيينهم. وبعد أن تستوفي المؤسسة العسكرية مهمتها، تعوض بإدارة مدنية [435].

أما عن تطبيق هذه الأساليب الادارية والعسكرية على الواقع الجغرافي المغاربي القديم، فقد تم على نحو مطابق للأهداف المرجوة منها، وذلك بمساعدة روما على خدمة مصالحها العامة وحماية ظهر الولايات الجديدة، وتحيق المصالح الاقتصادية لها.

أما عن الوضع الاجتماعي للمغاربة في تلك الفترة، حيث مميزات القوانين الرومانية المتعلقة بالوضعية الاجتماعية لسكان الولايات، يقوم على مبدأ الطبقية الاجتماعية، وقد تمثلت هذه القوانين في حق المدنية (المواطنة الرومانية) وحق اكتساب المشروعية الزوجية (اعتراف القوانين الرومانية شرعا بالزواج) وحق اكتساب كيان وسط المواطنين الرومان (تمثل في الاسم الثلاثي الذي هو عنوان الدرجة الرفيعة)وحق الملكية، ولكن ما يمكن أن يعبر عنه بالرومنة القانونية هو الوصف الواقعي لما ترتب عنه هذا القانون الرسمي الروماني، وحتى الأفراد الذين نالوا حظا من الثقافة اللاتينية كانوا في أحسن الحالات يشعرون بأنهم رعايا لروما أكثر من أنهم رومان.

أما عن اللغة اللاتينية لم تكن غريبة عن المغاربة في القديم، وقد عرفها الساسة ضمن العلاقات التي تربطهم بروما في مختلف مجالات السلم والحرب، ولكن خلال الاحتلال كان الوضع اللغوي أعمق بكثير، فقد جاء الرومان بنظمهم الإدارية والاقتصادية ومن بين قوانينهم في شروط المواطنة الثقافة واللغة اللاتينية، وكانت المدرسة أهم أداة لرومنة الشعب.

وقد كانت الكنيسة الافريقية منذ ظهورها قد احتضنت الشعب واقتربت من معاناته، ولا ندري إن كانت الكنيسة الأفريقية بنتا لكنيسة روما أم أنها تأسست مباشرة على يد رسل المسيح فابن خلدون يذكر بأنّ التبشير بالنصرانية في بلاد البربر كان على يد بعض أولئك الرسل امتثالا لطلب المسيح الذي قال فيه : اذهبوا وتلمذوا سائر الأمم...[436].

المحور الحادي عشر: الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

لم يكن احتلال الوندال لبلاد المغرب القديم أمرا مفاجئا، بل جاء نتيجة لظروف شهدتها المنطقة، حيث عرفت بلاد المغرب القديم منذ مطلع القرن الرابع ميلادي ظهور العديد من الإمارات المحلية المستقلة على أنقاض الاحتلال الروماني المتداعي، وقد رفعت هذه الامارات المغاربية لواء الحركة الاستقلالية في وجه الاستعمار الروماني، مما جعل المنطقة تخرج عن السيطرة الرومانية. وما تعلق بالوضع الداخلي للإمبراطورية الرومانية نفسها وما أصابها من ضعف.

1- التعريف بالوندال:

اختلف المؤرخون في معرفة الوطن الأصلي للوندال، وكل ما يمكننا أن نستشفه من هذه الروايات التي تناولت تاريخهم، هو أن هذه العناصر انحدرت من السلالات النوردية (الشمالية). ويرى كورتوا ، وهذا اعتمادا على علم المواقعية"Toponymie" أن اسم الوندال ربما يكون مشتقا من اسم قرية سويدية تدعى " وندل" " Vendet" في أوبلاند ، وهو ما جعله يرى في هذه المنطقة موطنا أصليا للوندال، وهذا خلافا للدراسات اللغوية التي تعتبر الوندال أقرب الى الدانماركيين منهم الى السويديين[437].

وهناك من يرى أنهم قوم جرمان جاوروا الحدود الرومانية الشمالية الممتدة بين نهري الراين والدانوب خلال القرن الرابع في شكل أحلاف منحوا اقليم داشيا، وكان أصلهم من بلاد اسكندنافيا التي غادروها أواخر الألف الأولى قبل الميلاد نحو جنوبي بحر البلطيق ثم استقروا بألمانيا. وقد ذكر الكتاب الرومان انهم ينتمون إلى جذمين كبيرين من حيث المواصفات الاجتماعية، أحدهما وصف بالتمنطق بالحمائل (أحزمة عريضة) ويدعي قومه بالسيلينغ Siling و الآخر عرف أفراده بترك شعر الرأس ينمو ويسدل كالنسوة، وهم الهسدينغ Hasdings وكلهم يعتنق المسيحية على المذهب الأريوسي بحكم الجوار.

في أوائل القرن الرابع اخترقت مجموعة كبيرة من الوندال نهر الراين في اتجاه بلاد الغال ومنها إلى اسبانيا حيث استقروا هنالك وانتشرت قبائلهم في مقاطعاتها وأطلقوا اسم «فندلوسيا» على القسم الجنوبي منها لاكسابه معنى الموطن الدائم لأولئك القوم. وهو الاسم الذي حرفه العرب في ما بعد إلى أندلس [438].

2- أسباب الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم:

أهم محفزات وعوامل الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب التي أشار إليها معظم المؤرخين كانت سياسية أو اقتصادية من بينها مايلي:

*- يبدو من خلال التفسيرات المختلفة التي ساقها المؤرخون أن الهدف الأسمى للوندال كان يتمثل في الاستيلاء على روما عاصمة العالم المتوسطي. وبما ان الطريق إلى هذه المدينة المرموقة عبر جبال الألب انطلاقا من وراء الراين كان متعذرا فانهم اهتدوا إلى طريق أطول عبر اسبانيا وشمال إفريقيا وصقلية، فيتم لهم أثناء ذلك بتر أطراف الإمبراطورية ومحاصرتها لإضعافها وحملها على الاستسلام عند مهاجمتها.

وبما أنهم نجحوا بسهولة في اجتياز نصف الطريق باحتراقهم بلاد الغال والاستقرار بإسبانيا فإن نصف الطريق الباقي هو شمال افريقيا الذي كانت الحماية الرومانية فيه ضعيفة وتنخره الانقسامات وتتربص به امارات القبائل المورية التي كانت تتحين الفرص لتحقيق مطامحها في استعادة حريتها وبسط نفوذها على أوسع ما يمكن من أراضي المقاطعات الرومانية.

*- استنجاد والي افريقيا "بونيفاس" بالوندال ، اثر ارسال الإمبراطورة "بلاكيديا" وابنها "فلانتيانوس" القوات لإخضاعه، بعد رفض عودته إلى "الرافن"سنة427م، حيث اعتبر هذا الرفض في نظر الوشاة دليلا كافيا على نوايا "بونيفاس" الاستقلال بإفريقيا[439].

*- حرص وندال إسبانيا على السبق إلى الفوز بروما ومن ثم القبض على مقاليد الامبراطورية قبل أن تصل إليها أيدي الشعوب الجرمانية الأخرى من القوط الذين كانوا على علاقة تحالف مع الرومان وكانت تراودهم

الرغبة في الانقضاض على روما والاستئثار بممتلكاتها من دون جرمان الغرب (الوندال). فالأمر يتعلق بتنافس القوط والوندال على الظفر بالغنيمة الكبرى.

*- الوضع العام في افريقيا مهيأ، حيث كانت الثورات المحلية واحدة تلو الأخرى، بسبب ارهاق السكان بالضرائب، بالإضافة إلى الاضطهاد الديني الذي كان يمس خاصة الدوناتيين. حيث أمل الوندال أن يسرع الأهالي لمساعدتهم، من مور وكل المتعصبين والمضطهدين و الرومان غير راضيين، بالإضافة إلى الكونت بونيفاس[440].

*- اشتهار بلاد المغرب بالثراء الزراعي، حيث كانت الممون الرئيسي لإيطاليا بالقمح والمنتوجات الفلاحية المختلفة، وهذا ما رغب الوندال في الاستئثار بذلك ومنعه عن روما في اطار حصار غذائي يعجل بسقوطها في أيديهم[441].

*- اقتناع الوندال بأن بقاءهم بالأندلس يضعهم في عزلة عن العالم القديم، وقد يُمكن خصومهم القوط احلاف روما من محاصرتهم والقضاء عليهم، فضلا عن لهفتهم إلى اشباع نزوتهم في الغارة والمغانم التي تكون في متناول أيديهم عندما يستقرون بقرطاجة ذاك الموقع الملائم لممارسة هذا النشاط.

فإسبانيا كانت تمثل في أعينهم سجنا يهددهم بالفناء، بينما كانت شمال افريقيا الممتدة بمحاذاة البحر الداخلي" Mare Interum" الزاخر بالملاحة التجارية والمنفتح على الشرق والغرب وما يليهما من أقطار وثروات[442].

3- حملة الوندال على بلاد المغرب:

مايو من سنة429م اجتاز ملك الوندال جنسريق"Generic "سيرا على الأقدام اجتياز البحر نحو بلاد المور بصحبة شعبه الذي كان تعداده خمسة عشر ألف مقاتل وحوالي خمسة وستين ألفا من النساء والأطفال والشيوخ.

كان الانطلاق من شبه جزيرة طريفه "Julia traducta" الواقعة على الطرف الغربي من مضيق جبل طارق. غير أن النقطة التي وقع فيها الانزال الوندالي بالشاطئ الافريقي غير معروفة على وجه التحديد. إذ يرى

المؤرخين بعضهم أنها كانت طنجة والبعض الآخر يذكر سبتة أو مرفأ القصر الصغير الذي انطلقت منه حملة طارق بن زياد لفتح الأندلس. بينما يذهب البعض إلى أن الوندال تجنبوا الانزال بالمقاطعة الطنجية لبعدها عن الهدف المنشود، وأنهم واصلوا إبحارهم بمحاذاة الشواطئ الموريطانية في اتجاه الشرق إلى أن بلغوا نقطة تقابل ميناء الغزوات المدعو قديما (افراترس Afatres) بالمقاطعة القيصرية فانحرفوا نحو هذا الميناء الملائم وحطوا به رحالهم[443].

لم يصطدم الوندال بمقاومة تذكر قبل الوصول إلى حدود نوميديا، رغم ماصحب حملتهم من أعمال النهب والتخريب والتقتيل والتعذيب على مايذكر بوسيديوس وفيكتور دي فيتا[444].

تقدمت الجيوش الوندالية ، وعجز الرومان في التصدي لها ، حيث اضطر بوفيناس للانسحاب إلى "هيبو ريجيوس" بعد هزيمته في المعركة الأولى ،لكن الوندال حاصروه بها مدة أربعة عشر شهرا، رغم وصول أسبار على رأس قوات جديدة وانضمامه له، فقد انهزم الاثنان، واستولى جنسريق على المدينة سنة431م[445].

كان من نتيجتها وفاة بونيفاس القائد الأعلى لإفريقيا وأصبحت افريقيا بدون حامي، مما اضطر ايتيوس إلى عقد اتفاقية "هيبو ريجيوس" مع جنسريق "11فيفري435م"، التي هيمن الوندال بموجبها على مقاطعات موريطانيا الثلاث وجزء من نوميديا، و تعهد بالمقابل "جنسريق" بدفع غرامة مالية سنوية للإمبراطور، كما بعث بابنه هونريك إلى روما كرهينة.

تخلى جنسريق على المعاهدة المذكورة، بعد أن استعاد ابنه ، فاستولى على قرطاجة (19 أكتوبر 439 م) دون مقاومة تذكر وأخذ بعدها يعد العدة لمهاجمة جزر المتوسط، بعد أن جهز لذلك أسطولا، فكانت معاهدة 442م التي كانت لصالح الوندال الذين بسطوا نفوذهم على كل البروقنصلية وفي سنة 455م استولى الوندال على ما تبقى في يد الرومان بموجب معاهدة 442م، كإقليم طرابلس والموريطانيات الثلاث، ومدوا نفوذهم على كل الإقليم الشرقي من قادس الى معبد الفيلان ، وسيطروا بذلك على افريقيا ظاهريا على الاقل ما يقرب قرنا من الزمن [446].

4- موقف الأهالي والكنيسة من الاحتلال الوندالي:

أ- موقف الأهالي:

اتخذت العلاقات بين الأهالي والوندال شكلين، وتمثل الشكل الأول في التعاون الذي كان موجودا بين الطرفين، ويعود إلى ما قبل الحملة على روما سنة 455م ، وما يدعم ذلك ما ذكره فيكتور دي فيكتا. وقد تمثل الشكل الثاني من العلاقات في تغير الظروف بوفاة جنسريق، وبدأت ثورات الأهالي بدون توقف، منذ عهد ابنه هونريك، الذي غطت الحروب كل عهده، حيث خلفت ثورة الأوراس اعلان استقلال الأوراس وعلى اثرها بدأت تنمو تلك المماليك في افريقيا المستقلة عن الوندال في عهود تابعيه[447].

ب- موقف الكنيسة:

انقسام الكنيسة الأفريقية أوائل القرن الرابع أخذت مواقف الطرفين المنقسمين (الكاثوليكية والدوناتية) تتعاكس إزاء الأحداث، ففي حين كان الشق الدوناتي يعارض السلطة الامبراطورية وينحاز إلى الثوار المناوئين لها مثلما فعل مع فيرموس، كان الشق الكاثوليكي يقف في صف السلطة الامبراطورية ويناهض المتمردين والعصاة وجميع الأعمال المناهضة لسيادة روما في شمال افريقيا، وكان يوظف جميع ما لدى رجاله من قدرة جدلية لهذا الغرض مما جعل منه قوة اعلامية شديدة الفعالية لصالح الدولة، فكان الامبراطور يناصرهم وينحاز إليهم في منازعاتهم مع الدوناتيين، بدءا من مؤتمر" آرل Arle " الذي أدان الحركة الدوناتية واعتبرها انشقاقا إلى مرسوم "غراتيانوس" عام 377م القاضي بمصادرة كنائس الدوناتية ومنحها لخصومها الكاثوليك عقب ثورة فيرموس إلى المحاكمة التي أقامها هونوريوس عام 411 م ضد الدوناتيين وأتباعهم الدوارين بقرطاجة.

أما عن العلاقة بين الوندال ورجال الدين الأفارقة من المتعذر إجلاء خفاياها وتتبع تطوراتها بقدر يفي بغرض الباحث في هذا الموضوع. فالمصادر لا تتيح لنا سوى النزر اليسير مما يخص أساقفة قرطاجة والمقاطعات التي سيطرت عليها دولة الوندال.

إذ أن ما ورد عند فيكتور الفيتي مثلا يَنْصَبُّ على ما صدر من عقوبات في حق رجال الدين الكاثوليك وكنائسهم في عهد جنسريق أو ابنه هونيريك من بعده. ويبدو أن مضار تلك العقوبات تركزت في البلاد الواقعة تحت السيطرة المباشرة للوندال، وهذا ما جعل تطبيقها أمرا ميسورا، فأحدثت ذلك الأثر النفسي لدى كتاب العصر. أما نصيب موريطانيا تلك الاجراءات الزجرية فليس لدينا حوله ما يثبته أو ينفيه بل ربما كانت الكنائس الدوناتية بموريطانيا معفية منه. إذ أن الوندال لم يعتبروا تلك الكنائس في عداد مسؤولياتهم، وهو ما ظهر في المؤتمر الكنسي الذي تم عقده تحت رعاية ملك الوندال عام 525م حيث لم يدع ممثلي موريطانيا لحضوره باعتبار البلاد خارج سيطرتهم فلم يحضر سوى ممثل واحد بصفة ،رمزية جاء من مدينة مينا[448].

المحور الثاني عشر: الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب القديم

يعتبر الوجود البيزنطي في بلاد المغرب القديم استمرارا للوجود الروماني في المنطقة، بعد الفترة الوندالية التي مثلت مرحلة استعمارية فاصلة بين الوجود الروماني و البيزنطي، حيث يطلق على الامبراطورية البيزنطية اسم الامبراطورية الرومانية الشرقية تمييزا لها عن نظيرتها الغربية.

1- التعريف بالبيزنطيين:

يمكننا أن نعتبر يوم 11 مايو 330م، الذى أصبحت فيه مدينة بيزنطة العاصمة المسيحية للإمبراطورية الرومانية، البداية المنطقية للدولة البيزنطية، رغم استمرار الوحدة السياسية للإمبراطورية الرومانية ظاهريا في عهد قسطنطينوس (Constantin) وبعض خلفائه، لكن القسطنطينية، لم تكن عاصمة شكلية، لا في المجال الديني ولا المادي، فقد استطاعت بفضل موقعها أن تكون مركز ارتكاز للهلينية، التي أعطت دائما للولايات الشرقية خصوصياتها وطابعها وحتى مؤسساتها، وهو ما يفسر لنا سرعة تطور أمبراطورية الشرق غداة وفاة ثيودوز (Theodose) وتقسيم الامبراطورية الرومانية بين أركاديوس (الشرق) وهنوريوس (الغرب) سنة 395م، التاريخ الذي اعتبر بداية الوجود الرسمي للامبراطورية البيزنطية[449].

2- أسباب الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب:

*- حاول البيزنطيون استرداد افريقيا من أيدي الوندال عدة مرات وذلك بمهاجمتهم بحريا. منها تلك الحملة الكبرى التي تحطمت على شواطئ قرطاجة عام 468م. فكانت هزيمة تاريخية، لقد تحطم أسطول امبراطورية الشرق فاختفت قوتها البحرية سنوات عديدة وهو ما أجبر الامبراطور "زينون Zeno " على إمضاء معاهدة سلم مع جنسريق عام 476م، ولكن رغم حالة السلم التي حافظ عليها الطرفان ظاهريا في الفترة اللاحقة مع خلفاء جنسريق فإن النية البيزنطية كانت دائما تتوق إلى الفرص السانحة للقيام بعمل عسكري يسترجع مجد روما الضائع.

*- قيام ثورتين متزامنتين ضد الوندال في كل من إقليم طرابلس وسردينيا،ويبدو من الواضح أن زعماء هاتين الثورتين قد كانا على اتصالات مباشرة وسرية مع البيزنطيين لدعمهم في هذه الحرب [450].

*- الصراع الديني القائم آنذاك بين الكاثوليكية والأريوسية، وما نجم عنه من تعرض كاثوليكي افريقيا لمتابعات واضطهادات عديدة طيلة فترة حكم الوندال(429-533م) ، كما كان في القسطنطينية عددا كبيرا من الأفارقة ضحايا الاضطهادات الوندالية، وعدد ضخم من الأساقفة الذين كانوا عرضة للتعذيب الوندالي، وحول كل هؤلاء التف الأرثوذكس يتوسلون من الامبراطور التدخل[451].

*- طموح جوستينيان Justinien الذي اعتلى عرش القسطنطينية وأخذ يحلم بإمبراطورية عالمية قوامها العالم الروماني الذي قامت على شتاته دول جرمانية قوية، وراح يبحث عن العلل التي تمكنه من تحقيق أحلامه تلك. لقد كانت أنظار جوستينيان متجهة إلى قرطاجة التي يحتفظ فيها ملوك الوندال برموز الامبراطورية الرومانية المسلوبة بحد السيف. وجاءت الفرصة المنتظرة، لقد حدثت خلافات بين الوندال ووقعت حرب داخلية بسبب الخلافة بين كل من "جيلميرGelimer " و"هيليدريك Hilindric "عام 31م. فاقتتل الوندال فيما بينهم وضعفت قواهم ولم يبق مع جيلمير المتمرد على هيلدريك سوى حوالي 5000 فارس مع أنه انتصر عليه وانتزع منه كرسي العرش.

*- نال الوندال نخر الحضارة والترف، فأصبحوا قليلي العناية بالجوانب العسكرية، وضعفت في نفوسهم الروح القتالية، وهي أفضل ميزة تفوقوا بها على أعدائهم من قبل[452].

3- مراحل الاحتلال البيزنطي على بلاد المغرب وحدود سيطرته :

كانت الحملة البيزنطية في الواقع حملة عسكرية، وعملا استعماريا يغلب عليه الطابع العسكري، طيلة فترة حكم الامبراطور جوستينيان الذي حاول فرض سيطرته والوصول بحدود الولاية إلى ما كانت عليه أثناء الوجود الروماني، ولعل ما يوضح ذلك الاستعدادات العسكرية الكبيرة للقوات البيزنطية المشاركة في الحملة وأنواع الفرق العسكرية وتشكيلات الجيش والأسطول البحري، إضافة لذكر أسماء قادة الجيش ووظائفهم الأصلية[453].

جهز جوستينيان جيشا كبيرا وودعه بحفل رسمي يوم 22جوان533م من ميناء القسطنطينية، وبعد حوالي ثلاثة شهور من الابحار حط الأسطول رحاله برأس كبوديا " Caput Vado " على الشاطئ الشرقي لتونس، وذلك أواسط شهر ستمبر 533م. ولم تعترض حامية الوندال بجزيرة مالطة طريق الأسطول الذي مر بقربها، فسهل على بليزير" Belizaire "قائد الحملة أن يعبر بسلام. وقطع بليزير على رأس جيشه الكبير المسافة ما بين مرفأ الانزال وقرطاجة دون أن يعترض سبيله مقاومة تذكر. ما عدا المعركة الحاسمة التي دارت بينه وبين المووندال كان النصر فيها حليفه فدخل قرطاجة مظفرا بسهولة لم يكن يتوقعها، كان ذلك في شهر ديسمبر 533م. على الرغم من أن ملك الوندال جيلمير كان لا يزال يقاوم. لكن هذه المقاومة لم تعمّر طويلا حيث انهزم في معركة حاسمة عرفت بموقعها تريكا ماروم" Tricamarum "بشهر أفريل 534م[454].

لكن لو كر المعركة جلمير على البيزنطيين ساعة اقتسام الغنائم، لتغير منحى المعركة، لكن تأثره بالصدمة الأولى، وفراره الى جبل (Papua) فوت عليه الفرصة ، وفي هذا الجبل ضايق عليه فاراس (Pharas) الخناق حتى استسلم في شهر مارس 534م ، بعد ثلاثة أشهر من الحصار.

بعد استسلام جلمير أرسل بيليساريوس بعض قواده لاسترجاع قيصرية (Caesaree) وسبتة (Septum) المتوسط، لكن البيزنطيين سيصطدمون من الآن فصاعدا بمقاومة أعنف وأشد تتمثل فى مواجهة الاهالي[455].

أما عن حدود الامبراطورية البيزنطية في بلاد المغرب القديم، فإن الاحتلال البيزنطي لم يكن إلا احتلالاً محدوداً وجزئياً حيث تمثلت حدود كالتالي:

- البيزنطيون، وكانوا يسيطرون على البلاد الواقعة ما بين خليج قابس وسطيف مرورا بالقلاع التي أقاموها شمالي الأوارس وبلزمة، مع احتمال ضعيف لاحتفاظهم ببعض المراكز الساحلية القليلة في مقاطعات طرابلس والقيصرية اعتمادا على قواتهم البحرية وتأمينا لأسطولهم في عرض المتوسط الغربي.

- ممالك المور التي سيطرت على بقية البلاد بصفة يصعب معها تبين معالم الحدود فيما بينها أو مع البيزنطيين[456].

3- **السياسة الادارية البيزنطية في بلاد المغرب:**

بعد نجاح الحملة البيزنطية على شمال افريقيا، أمر جوستينيان ضباطه بمد الحدود إلى ما كانت عليه قبل الوندال، وليعيد لإفريقيا أشكالها الادارية السابقة، ولتجسيد ذلك أصدر الإمبراطور جوستينيان مرسومين في13 أفريل 534م، المرسوم الأول أرسله إلى آرخيلايوس ليتكفل بتنظيم الادارة المدنية، والأخر إلى بيليساريوس ليتكفل بتنظيم الادارة العسكرية[457].

أ- **الادارة المدنية:**

يفهم من نص قانون جوستينيان الموالي، أن افريقيا قسمت إلى سبع مقاطعات، ثلاث منها يديرها قناصل(البروقنصلية، المزاق، طرابلس)، وأربع عهد بها لرؤساء"Praesides" (نوميديا، موريطانيا الأولى "السطايفية، موريطانيا الثانية "القيصرية، سردينيا")

تكفل الحكام السبعة المكلفون بالإدارة المدنية للمقاطعات الأفريقية، بكل المهام، التي تكفل بها أسلافهم الرومان، تحت اشراف والى البريتوار " Prefect du Prétoire "، فتكفلوا بالإدارة المالية والعدالة والشرطة، وكان لهم أعوان و مستشارون ، شأنهم في ذلك شأن والى البريتوار .

والى البريتوار: تعذر ربط افريقيا اداريا بإيطاليا في عهد جوستينيان كما كانت فى السابق، جعل هذا الاخير ينشئ في افريقيا ولاية خاصة مقرها في قرطاجة، عين عليها والى البريتوار عوض البروقنصل سابقا. حيث يمثل البرايطور بذلك السلطة المركزية و يخضع له كل حكام الولايات في بلاد المغرب الذين يمثلون السلطة الجهوية، وتمتع بصلاحيات واسعة تمثلت في المحاور الأساسية(التشريع، الادارة، المالية، القضاء)، وكانت مهامه في بعض الأحيان تتجاوز الصلاحيات الادارية إلى الادارة العسكرية[458].

ب- **الادارة العسكرية:** وتشكلت مما يلي:

- قائد قوات افريقيا: يمثل في السلم العسكري، نفس المكانة التي يمثلها والي البرتوار في الادارة المدنية.

- الجيش البيزنطي بإفريقيا: ويتشكل من(جنود الحرس، الجيش المتحرك، الحلفاء، أفواج من المجندين الأهالي) [459].

4- موقف المورمن السياسة البيزنطية:

إذا كان استقبال مجتمع الرومان والأساقفة الكاثوليك للبيزنطيين بالترحاب، فان قبائل (البربر) التي كانت تشكل القاعدة السكانية العريضة في بلاد المغرب لم تظهر نفس المشاعر. حيث وقف بعضها إلى جانب الوندال والبعض الآخر أظهر حيادا مما دفع بالبيزنطيين إلى اجبار القبائل التي ظفروا بها على تقديم رهائن ضمانا لخضوعها. ويؤكد برو كوب أن المور قاوموا القوات البيزنطية في جميع الجهات بدءا من عام 534م (تعيين القائد صولومون حاكما جديدا للمنطقة وسياسته التوسعية)حيث صدّ مور طرابلس جيش البيزنطيين، كما فعل أمراء المور في جنوبي نوميديا و بيزاكينا، فضلا عن القبائل التي تحالفت مع جيلمير، حيث قاتلت إلى جانبه إلى النهاية، وكانت مهيأة بعد ذلك لحمل السلاح في كل وقت[460].

ومن المجموعات التي حاربت البيزنطيين بضراوة قبائل لواته التي كانت تستوطن الحدود الغربية لمقاطعة طرابلس. وكذلك قبائل الفراكسFraxes ، وهي مجموعة متحالفة كانت تطوق بيزاكينا من الجنوب، وكانت تحارب إلى جانب الملك انتلاس Antalas ابن غنفان Guenfan وكذا قبائل ازداسة Esdilasa ومداسة Medsiniseو كوتزينا Cotsina التي تردد إسمها مشخصا في قائدها كثيرا أثناء الحرب البيزنطية.

وفي نفس الوقت كان بقايا الوندال يقاومون تحت قيادة شخص يدعى ستراتزاس"Stotzas"، فكان على صولومون أن يواجه جبهتين يربط بينهما هاجس واحد هو الخطر البيزنطي[461].

حيث استغل صولومون انجلاء الوندال وتراجع المور وأخذ ينفذ أوامر الامبراطور بشأن الترتيب الاداري، فنصب حكاما للمقاطعات وقادة عسكريين على رأس أربعة أقاليم عسكرية هي : طرابلس وبيزاكينا ونوميديا وموريطانيا، على أن يتحذ أولئك المسؤولون مقراتهم بعواصم المقاطعات وهي على التوالي لبدة وقفصة أو تليت Thelete وكيرتا Cirta وقيصرية . وكان على الحكام أن يباشروا العمل من اجل إعادة الاعتبار للتحصينات وخاصة منها الواقعة في مواجهة المور الثائرين، حيث كانت أوامر الامبراطور جوستينيان مشددة

بشأن احاطة أولئك البربر بسلسلة من القلاع الحصينة لمنعهم من الاغارة على السهول الخاضعة للبيزنطيين[462].

الهوامش:

(1)- محمد حسين فنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاج، أليف منشورات البحر الأبيض المتوسط، 1999، ص151.

(2)- محمد الطاهر والشاذلي بورونية، قرطاج البونية تاريخ حضارة، مركز النشر الجامعي، 1999، ص42.

(3)- محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، الجزائر، 2003، ص157، 161.

(4) - Villard, Vasses antiques du V^{éme} siècle av, J ,C, à Gouraya, L, A ,E, 1995, P, 7 à 13.

(5)- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الاسلامي، دار هومة، الجزائر، 2014، ص139.

(6)- Stéphane Gzell, les Monuments Antiques de L'Algérie, T1, Ancienne Librairie Thorine et fils, paris, 1901, p64.

(7)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص146.

(8)- أنظر: منير بوشناقي، الضريح الملكي الموريطاني، تر: عبد الحميد حاجيات، مديرية الفنون الجميلة والآثار والمتاحف، الجزائر، 1979، ص16، 17. أنظر كذلك: لحسن رابح: أضرحة الملوك النوميد والمور، دار هومة، الجزائر، 2004.

(9)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص141.

(10)- نفسه، ص133.

(11)- René Cagnat, Carthage Timgad Tébessa les villes antique de l'Afrique du Nord, Librairie Renouard et H. Laurens, paris, 1912. أنظر كذلك:

قادوس زكي حامد نجيب: آثار العالم العربي في العصرين اليوناني والروماني، القيم الإفريقي، مؤسسة حورس للنشر، مطبعة الحضري، مصر، 2003.

(12) عبدالله فيلال، مصادر البحث في التاريخ القديم (نموذج المغرب)، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية ،جامعة عبد الملك السعدي –كلية الآداب والعلوم الانسانية –تطوان، عدد9، 1999، ص190.

(13) نفسه، ص 197.

(14)- Hérodote, Histoires, Livre IV, trad: Legrand, Les belles lettres, paris, 1936, XLI.

(15)- Hérodote, Livre IV, CLXXXIX.

(16)- Hérodote, Livre IV, CXC.

(17)- Hérodote, Livre IV, CXCI, CXCII.

(18)- Hérodote, Livre IV, CXCV, CXCVI.

(19)- Hérodote, Livre IV, CXCVII.

(20)-أحمد امين سليم، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم، تاريخ العراق –ايران –آسيا الصغرى، دار المعرفة الجامعية،1998، القاهرة،ص55.

(21)- Strabon, La Géographie, Trad: Amédée Tardieu, livre XVII, Hachette, Paris, I.

(22)- Strabon, livre XVII, III, II.

(23)- Strabon, livre XVII, III, VII.

(24)- Strabon, livre XVII, III, XXI, XXII.

(25)- Strabon, livre XVII, III, XV.

(26)- عبد الله فيلال، المرجع السابق، ص198.

(27)- محمد الطاهر والشاذلي بورونية، المرجع السابق، ص ص27-30.

(28)- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص ص106- 108.

(29)احمد امين سليم، المرجع السابق ،ص55.

(30)- محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص326.

(31)- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص110.

(32)- محمد الطاهر والشاذلي بورونية، المرجع السابق، ص33.

(33)- نفسه، ص31.

(34)- Tite Live, Histoire Romaine, trad: Victor Verger et des autre, (XLIII-XLV), C.L.F Panckoucke, Paris.

(35)- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص111، 112.

(36)- محمد الطاهر والشاذلي بورونية، المرجع السابق، ص32.

(37)- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص113، 114.

(38)- Salluste, Guerre de Jugurtha, trad. Charles Durosoir, Librairie Garnier Frères, Paris, (s.d),

(39)- Salluste, Guerre de Jugurtha, XVIII.

(40)- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص114.

(41)- أحمد حسين السليماني، تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة، ط2، دار القصبة، الجزائر، 2017، ص33.

(42)- أنظر: عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج2، دار الفكر، لبنان، 2000، ص12.

(43)- أنظر: الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

(44)- أنظر: مارمول كربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، ج1، مكتبة المعارف، الرباط، 1984.

(45)- أنظر: ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الاندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013.

(46)- أنظر: أبي عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(47)- أنظر: الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.

(48)- أنظر: كاتب مراكشي (6هـ/ 12م)، كتاب الاستبصار في عجائب الامصار وصف مكة المدينة ومصر بلاد المغرب، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.

(49)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص18.

(50)- François Decret et Mhamed Fantar, L'Afrique du Nord dans L'Antiquité des Origines au Ve Siècle, Payot, Paris, 1981, p15, 16.

(51)- Hérodote, livre IV, XLI, XLII.

(52)- Hérodote, livre II, XLI, XLII.

(53)- سفر أخبار الأيام الثاني، (16: 8)، سفر دانيال (11: 42).

(54)- Salluste, Guerre de Jugurtha, XVIII.

(55)- François Decret et Mhamed Fantar, Op. Cit, p17, 18.

(56)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص20.

(57)- François Decret et Mhamed Fantar, Op. Cit, pp22- 25.

(58)- مها عيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ القديم، جامعة منتوري قسنطينة، 2009/ 2010، ص24.

(59)- François Decret et Mhamed Fantar, Op. Cit, p25.

(60)- الحسن الوزان، المرجع السابق، ص27.

(61)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص21.

(62)- مها عيساوي، المرجع السابق، ص24.

(63)- مارمول كربخال، المرجع السابق، ص25.

(64)- ابن خلدون، المرجع السابق، ص12.

(65)- الكعاك، البربر، تامغناست، جبل المنار، جمادي الأولى 1375، ص51.

(66)- عبد الرحمان ابن خلدون، المرجع السابق، ص573.

(67)- الحسن الوزان، المرجع السابق، ص35.

(68)- الكعاك، المرجع السابق، ص50.

(69)-Hérodote, Livre IV, CXCI

(70)- Salluste, Guerre de Jugurtha, XVIII.

(71)- Strabon, livre XVII, III, VII.

(72)- الحسن الوزان، المرجع السابق، ص35.

(73)- أحمد حسين السليماني، المرجع السابق، ص36.

(74)- أنظر: نفسه، ص ص37- 42.

(75)- قبريال كامبس، المرجع السابق، ص26.

(76)- محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، دار الهدى، الجزائر، 2013، ص ص16- 18.

(77)- Salluste, Guerre de Jugurtha, XVIII.

(78)- محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003، ص158.

(79) – محمد التازي سعود، صفحات من تاريخ المغرب القديم، منشورات فكر، الرباط، ص11.

(80)- نفسه ، ص11-12.

(81)- محمد العربي عقون ، المرجع السابق، ص159.

(82)- محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2012، ص ص195-198.

(83)- محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص160، 161.

(84)- مها عيساوي، المرجع السابق، ص304.

(85)- محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص ص200-202.

(86)- محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص163، 164.

(87)- محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص209.

(88)- محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ ، المرجع السابق، ص75.

(83)-Tite –Live, Op.cit, p18.

(90)-Camps,(G), Aux origins de la Berberie, Massinissa ou les debuts de l'histoire, (Libyca , 1960,), p157.

(91) –محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب اثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984،ص167.

(86)- محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص69.

(93)- مها عيساوي، المرجع السابق، ص101، 102.

(94)- محمد بيومي مهران، المرجع السايق، ص68، 69.

(95) - نفسه، ص76.

(96)- مها عيساوي، المرجع السابق، ص103.

(97)- فراسوا شامو، الإغريق في برقة الأسطورة والتاريخ، تر: محمد عبد الكريم الوافي، ط1، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1990، ص34.

(98)- محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص76، 77.

(93) - نفسه،ص82.

(100)- مها عيساوي، المرجع السابق، ص106.

(101)- Hérodote, Livre IV, CXCI

(102)- مها عيساوي، المرجع السابق، ص107.

(103) فرج محمود الراشدي، التواجد الليبي في المجتمع المصري القديم، المجلة الليبية العالمية ، جامعة بنغازي، العدد3، 2015، ص4.

(104)- أحمد عبد الحليم دراز، مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق.م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2000، ص35.

(105)- فرج محمود الراشدي، المرجع السابق، ص9.

(106)- فرانسوا شامو، المرجع السابق، ص29.

(107)- مها عيساوي، المرجع السابق، ص ص88-91.

(108)- أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص33.

(109)- نفسه، ص35.

(110)- مها عيساوي، المرجع السابق، ص ص88-91.

(111)- نفسه، ص ص93-96.

(112)- فرج محمود الرشيدي، المرجع السابق، ص9.

(113)- جونتر فيتمان، مصر والأجانب في الألفية الأولى قبل الميلاد، تر: عبد الجواد مجاهد، ط1، المركز القومي للترجمة، مصر، 2009، ص31، 32.

(114)- محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ، المرجع السابق، ص48.

(115)- أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص56.

(116)- محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ، المرجع السابق، ص50.

(117)- أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص33.

(118)- محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ ، المرجع السابق، ص50.

(119)- جونتر فيتمان، المرجع السابق، ص25.

(120)- فرانسوا شامو، المرجع السابق، ص134.

(121)- عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، ج1، تاغناست، (د.م.ن)، (د.ت)، ص129.

(122)- M. Murry, The Godash in Ancient Egypt and the East, part II, JEA, 1943, p115.

(123)- محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ ، المرجع السابق، ص116.

(124)- محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، دار الهدى، الجزائر، 2006، ص ص16-19.

(125)- نفسه، ص 21، 22.

(126) - نفسه، ص26.

(127)- محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص114.

(128)- محمد صغير غانم، مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، الجزائر،2005، ص61.

(129)- محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي، المرجع السابق، ص238، 239.

(130)- محمد صغير غانم، مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، ص67.

(131)- محمد صغير غانم، نفسه، ص57.

(132)- محمد الطاهر العدواني، "إشكالية التواجد الفينيقي في المغرب القديم"، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد الخامس، 1988، ص28.

(133)- محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ ، المرجع السابق، ص ص120-126.

(134)- محمد صغير غانم، مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، ص59.

(135)- Hérodote, livre IV, CXCVI.

(136)- مولاي الحاج أحمد بومعقل، مظاهر من التأثير القرطاجي في نوميديا الزراعة الديانة واللغة من القرن الثالث إلى 146 ق.م، مذكر ماجيستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008/ 2009، ص118.

(137)- عقون محمد العربي، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 2008،ص27.

(138)- مولاي الحاج أحمد بومعقل، المرجع السابق، ص ص130-133.

(139)- محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ، المرجع السابق، ص ص197-201.

(140)-Hérodote, Livre IV, CXCI

(141)- Strabon, livre XVII, III, VII.

(142)- Salluste, Guerre de Jugurtha, XVIII.

(143)- محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص68.

(144)- محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ ، المرجع السابق، ص59.

(145)- فرانسوا شامو، المرجع السابق، ص64.

(146)- عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص160، 161.

(147)- فرانسوا شامو، المرجع السابق، ص22.

(148)- عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص ص160-164.

(149)- فرانسوا شامو، المرجع السابق، ص53.

(150) – عقون محمد العربي، المرجع السابق، ص75.

(151)- عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص171، 172.

(152)- نفسه، ص175.

(153)- محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص75.

(154)- عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص174.

(155)- Hérodote, Livre II, L.

(156)- عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص ص135-144.

(157)- الأثرم رجب عبد الحميد، دراسات في تاريخ الإغريق وعلاقته بالوطن العربي، ط2، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1996، ص43، 44.

(158)- أحمد الفرجاوي، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، المعهد الوطني للتراث، بيت الحكمة، تونس 1993، ص9-10.

(159)- فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة والتاريخ، تر: يوسف شلب الشام، ط1، دار طلاس، 1994، ص41.

(160) - أحمد الفرجاوي، المرجع السابق، ص11.

(161)- محمد الطاهر والشاذلي بورونية، المرجع السابق، ص89، 90.

(162)- أحمد الفرجاوي، المرجع السابق، ص11.

(163)- نفسه، ص19.

(164)- محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، ص75.

(165)- أحمد الفرجاوي، المرجع السابق، ص21.

(166)- فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة والتاريخ، تر: يوسف شلب الشام، دار طلاس، دمشق، 1994، ص42.

(167)- ويعني التائهة وهي الصفة التي لازمت عليسا وهي تبحث عن مكان تقيم عليه مدينتها. أنظر: اصطيفان أكصيل، تاريخ شمال افريقيا القديم، تر: محمد التازي سعود، ج3، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007، ص312.

(168)- وقد بقيت الهضبة التي بنيت عليها المدينة تسمى باسم بيرصا كناية على جلد الثور الذي أخذته عليسا وقطعته شرائط ومدّت بطولها مدينتها.

(169)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص38، 39.

(170) محمد الخطيب، الحضارة الفينيقية،ط2، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 2007، ص99.

(171)- نفسه، ص99.

(172) – محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص195.

(173)- فرانسوا دوكريه، المرجع السابق، ص62.

(174)- محمد الخطيب، المرجع السابق، ص100.

(175)- محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي، المرجع السابق، ص93.

(176)- فرانسوا دوكريه، المرجع السابق، ص64.

(177)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص60.

(178)- فرانسوا دوكريه، المرجع السابق، ص64.

(179)- اصطيفان إكصيل، المرجع السابق، ج2، ص141.

(180)- محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي، المرجع السابق، ص94.

(181)- جمعة شيخة، الحضارة القرطاجية، موسوعة الحضارات القديمة (الميسرة)،دار النفائس، لبنان، 2020، ص333.

(182)- محمد حسين فنطر، الحضارة في قرطاج "تونس عبر التاريخ-العصور القديمة-"، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2007،ج1، ص73.

(183)-محمد ابو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية ، دار النهضة العربية، بيروت،1981،ص77.

(184)- محمد الطاهر والشاذلي بورونية، المرجع السابق، ص174.

(185)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص73.

(186)- اصطيفان أكصيل، المرجع السابق، ج2، ص149.

(187)- نفسه، ص145.

(188)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص73.

(189)- مفتاح محمد سعيد البركي، الصراع القرطاجي الإغريقي من القرن السادس قبل الميلاد حتى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد وأثره على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في قرطاجة، الجماهرية العربية الليبية مجلس الثقافة، سرت،2008،ص179.

(190)- مادلين هوورس ميادان، تاريخ قرطاج، تر: إبراهيم بالش، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1981، ص75.

(191)- أرسطو، السياسات، تر: أوغسطينس بربارة البولسي، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية، بيروت، 1957، الباب الثاني، الفصل الثالث، 5.

(192)- مادلين هوورس ميادان، المرجع السابق، ص75.

(193)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص64.

(194)- اصطيفان إكصيل، المرجع السابق، ج2، ص160، 161.

(195)- مفتاح محمد سعيد البركي، المرجع السابق، ص183.

(196)- جمعة شيخة، المرجع السابق، ص334.

(197)- محمد الطاهر والشاذلي بورونية، المرجع السابق، ص185.

(198)- اصطيفان أكصيل، المرجع السابق، ج2، ص149.

(199)- أرسطو، المصدر السابق، الباب الثاني، الفصل الثامن، 2.

(200)- اصطيفان أكصيل، المرجع السابق، ج2، ص146.

(201)- محمد الطاهر والشاذلي بورونية، المرجع السابق، ص180.

(202)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص63.

(203)- محمد الطاهر والشاذلي بورونية، المرجع السابق، ص181..

(204)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص77.

(205)- أرسطو، المصدر السابق، الباب الثاني، الفصل الثامن، 1.

(206)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص78.

(207)- Diodore de Sicile, Bibliothèque Historique, trad: Ferd Hoefer, tome troisième, 2eme Edition, Librairie de L. Hachette et Cie, Paris, 1865, Livre XX, VIII.

(208)- محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص36.

(209)- مادلين هورس ميادان، المرجع السابق، ص89.

(210)- فرانسوا دوكريه، المرجع السابق، ص78.

(211)- مادلين هورس ميادان، المرجع السابق، ص90.

(212)- محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص ص34- 36.

213) - Stéphane Gsell, Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, T7, Libraire Hachette, Paris, (1927, p59.60.

(214)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص75.

(215)- محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي، المرجع السابق، ص109.

(216)- محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص 36، 37.

(217)- محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي، المرجع السابق، ص109.

(218)-Strabon, livre XVII, III, XV.

(219)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص72.

(220)- محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي، المرجع السابق، ص108.

(221)- Hérodote, livre IV, CXCVI.

(222)- محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص37، 38.

(223)- فرانسوا دوكريه، المرجع السابق، ص102.

(224)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص73.

(225)- مادلين هورس ميادان، المرجع السابق، 91، 92.

(226)- محمد صغير غانم، التوسع الفينيقي، المرجع السابق، ص 103.

(227)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص78.

(228)- محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص 23، 24.

(229)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص65.

(230)- محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص24.

(231)- شوقي خير الله، قرطاجة العروبة الأولى، ط1، مركز الدراسات العلمية، 1992، ص147.

(232)- محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص25.

(233) - جمعة شيخة، المرجع السابق، ص337.

(234)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص66.

(235)- محمد الطاهر والشاذلي بورونية، المرجع السابق، ص277.

(236)-نفسه، ص ص298-303.

(237)- مادلين هورس ميادان، المرجع السابق، ص ص67- 69.

(238)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص ص69 -71.

(239) - جمعة شيخة، المرجع السابق، ص339.

(240)- جان مازيل، تاريخ الحضارة الفينيقية (الكنعانية)، تر، ربا الخش، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، 1998، ص169.

(241)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص76.

(242)- مولاي الحاج أحمد بومعقل، مظاهر من التأثير القرطاجي في نوميديا (الزراعة والديانة واللغة من القرن الثالث إلى 146 ق.م)، مذكرة ماجيستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، 2008/ 2009، ص72.

(243)- أحمد حسين السليماني، المرجع السابق، ص118، 119.

(244)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص78.

(245)- مادلين هورس ميادان، المرجع السابق، ص100.

(246)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص78.

(247)- نفسه، ص92.

(248)- أنظر: محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص ص163- 173.

(249)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص79.

(250)- محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية، المرجع السابق، ص52.

(251)- اصطيفان إكصيل، المرجع السابق، ج5، ص86. وأن مملكة نوميديا الغربية والشرقية تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد، انظر: نفسه ص89.

(252)- محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص13.

(253)- محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية، المرجع السابق، ص53.

(254)- Diodore de Sicile, Tom III, Livre XX, VIII.

(255)- محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية، المرجع السابق، ص52.

(256)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص86.

(257)- على أساس أنه القرن الذي تأسست في مستوطنة قرطاجة (814 ق.م).

(258)- اصطيفان إكصيل، المرجع السابق، ج1، ص305.

(259)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص40.

(260)- قبريال كامبس، المرجع السابق، ص193.

(261)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص87، 88.

(262)-Stéphane Gsell, OP. cit, p95, 96.

(263)- محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية، المرجع السابق، ص52.

(264)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص101-102.

(265)- محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص14.

(266)- قبريال كامبس، المرجع السابق، ص197.

(267)-Salluste, Guerre de Jugurtha, CII, CIII.

(268)-Strabon, livre XVII, III, V.

(269)- محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ ، المرجع السابق، ص149.

(270)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص98.

(271)- محمد الصغير غانم، المملكةالنوميدية، المرجع السابق، ص43.

(272)-Strabon, livre XVII, III, IX.

(273)- محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص14.

(274)- قبريال كامبس، المرجع السابق، ص205، 206.

(275)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص100.

(276) قبريال كامبس، المرجع السابق، ص218، 219.

(277)- محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص17.

(278)- أحمد حسين السليماني، المرجع السابق، ص103.

(279)- محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ ، المرجع السابق، ص138.

(280)- محمد الصغير غانم، المملكةالنوميدية، المرجع السابق، ص58.

(281)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص90، 91.

(282)- Salluste, Guerre de Jugurtha, XII.

(283)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص91.

(284)- محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص35.

(285)-محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص92.

(286)- نفسه، ص107.

(287)- محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ ، المرجع السابق، ص140، 141.

(288) - Camps (G), Les bérbéres, Memoires et identité(54) éd, Erranse,(coll. Des hesperides(Paris 1987)), p227.

(289)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق،ص111.

(290)- نفسه، ص 112.

(291)- محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص ص52-54.

(292)- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص97.

(293)- نفسه، ص ص97-99.

(294)- محمد الهادي حارش، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش الى وفاة يوبا الأول 203-46 ق.م، دار هومة، الجزائر، 2014، ص136-138.

(295)- محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص19.

(296)- Salluste, Guerre de Jugurtha, XVII.

(297)- محمد الهادي حارش، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا ، ص ص120-122.

(298) - محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص19.

(299)- نفسه، ص27، 28.

(300) محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص116.

(301)- نفسه، ص 116-117.

(302)- محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص31، 32.

(303)- Strabon, livre XVII, III, XI.

(304)- Hérodote, livre IV, CXCVIII.

(305)- محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص32.

(306)- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق، ص ص108- 110.

(307)- نفسه، ص118-119.

(308)- محمد الهادي حارش، التطور السياسي والاقتصادي، المرجع السابق، ص119.

(309)- قعر المثرد السعيد، الزراعة في بلاد المغرب القديم ملامح النشأة والتطور حتى تدمير قرطاجة سنة 146 ق.م، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة منتوري قسنطينة، 2007/ 2008، ص71.

(310) - محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص37.

(311)- قبريال كامبس، المرجع السابق، ص126.

(312)- محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ ، المرجع السابق، ص ص96- 99.

(313) محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص123.

(314)- محمد الهادي حارش، التطور السياسي والاقتصادي، المرجع السابق، ص ص142- 145.

(315)- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق، ص110.

(316)- محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص38.

(317)-نفسه،ص 39.

(318)- نفسه، ص52.

(319)- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص130.

(320)- Strabon, livre XVII, III, XII.

(321)- محمد الهادي حارش، التطور السياسي والاقتصادي، المرجع السابق، ص ص162-164.

(322)- محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص50.

(323)- محمد الهادي حارش، التطور السياسي والاقتصادي، المرجع السابق، ص ص165-168.

(324)- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص115.

(325)- محمد العربي عقون، المرجع السابق،ص53.

(326)- محمد العربي عقون، المرجع السابق،ص50-51.

(327)- محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ ، المرجع السابق، ص161.

(328)- محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص51.

(329)- محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية، المرجع السابق، ص119.

(330)- محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص158.

(331)- محمد العربي عقون، المؤرخون القدامى: غايوس كريسبوس سالوستيوس (86-35 ق.م.) وكتابه حرب يوغرطة، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر،2006،ص46-48.

(332)- Rinn(L), Les premiers royaumes Berbéres,in R.AF.1885, N 29, pp.172-175.

(333)- Thouvenot (R), Rome et les Barbares Africains, à ppropos d'une inscription de Volubilis, publication du service des Antiquités du Maroc, VII, 1945,p181.

(334) -Frezouls (E), Les Baquates, et la province romaine de Tingitane, Bulletin d'Archéologie Marocaine, T , II, 1957;pp.98-100.

(335)- محمد العربي عقون، المرجع السابق،ص163.

(336)- نفسه، ص168.

(337)- محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم(بحوث ودراسات)، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص167.

(338)- محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص179، 180.

(339)- محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ ، المرجع السابق، ص142.

(340)- محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص180.

(341)- أحمد حسين السليماني، المرجع السابق، ص45، 46.

(342)- اصطيفان اكصيل، المرجع السابق، ج5، ص51، 52.

(343)- اصطيفان اكصيل، المرجع السابق، ج5، ص ص42- 45.

(344)- محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص173، 174..

(345)- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص133.

(346)- محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي، المرجع السابق، ص120.

(347)- محمد الهادي حارش، دراسات ، المرجع السابق، ص116.

(348)- Camps (G.), Recharches sur les plus anciennes inscriptions Libques de l'Afrique du Nord, Bulletin archéologique (H.S), t, 10-11(1974-1975), pp.143-166.

(349)- محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي، المرجع السابق، ص ص118- 120.

(350)- اصطيفان أكصيل، المرجع السابق، ج6، ص86.

(351)- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص117.

(352)- محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي، المرجع السابق، ص121.

(353)- محمد الهادي حارش، دراسات ، المرجع السابق، ص119.

(354)-محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص144.

(355)- محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص213.

(356)- Hérodote, Livre IV, CLXXXVIII.

(357)- مها عيساوي، المرجع السابق، ص314.

(358)- أنظر: محمد الهادي حارش، "أصول عبادة أمون في المغرب القديم"، مجلة الدراسات التاريخية، وعهد الآثار، جامعة الجزائر، العدد الرابع، 1988، ص ص11-17.

(359)- محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص242، 243.

(360)- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص ص127-130.

(361)- محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ ، المرجع السابق، ص ص78-85.

(362)- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص ص 150-151.

(363)- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص133.

(364)- محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ ، المرجع السابق، ص85.

(365)- أنظر: أحمد حسين السليماني، المرجع السابق، ص ص186- 188.

(366)- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص155.

(367)- محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص255.

(368)- ابو بكر سرحان، "الحروب البونية بين روما وقرطاجة(264-146 ق.م) أسبابها –أحداثها –نتائجها ومواقف الممالك الأهلية المغربية منها"، مجلة الدراسات الافريقية، مجلد35، 2013، ص104.

(369)- محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ ، المرجع السابق، ص170.

(370)- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص44.

(371)- محمد البشير شنيتي ، الجزائر قراءة في جذور التاريخ ، المرجع السابق، ص173.

(372)- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص56.

(373)- جمعة شيخة، المرجع السابق، ص342.

(374)-محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ، ص ص 58-59.

(375)- نفسه، ص58-59.

(376)- نفسه، ص59.

(377)- محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية، المرجع السابق، ص36.

(378)-جمعة شيخة، المرجع السابق، ص342.

(379)-محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية ، المرجع السابق، ص44-47.

(380)- نفسه، ص49.

(381)- محمد البشير شنيتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146 ق.م/ 40 م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د.ت)، ص ص22-24.

(382)- محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية، المرجع السابق، ص63، 64.

(383)- Francois Decret et Mhamed Fantar, Op. Cit, p105.

(384)- P. F.de Callonne et Améddée Pommier, Les Vies de Cornelius Nepos, C. L. F. Panckoucke, Paris, II, 471.

(385)- Tite Live, XXII, IV- VI.

(386)- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص ص53- 56.

(387)- نفسه، ص ص68-69.

(388)- نفسه، ص69.

(389)- أحمد حسين السليماني، المرجع السابق، ص107.

(390)- جمعة شيخة، المرجع السابق، ص343.

([391])- -Polybius, The Histories of Polybius, trad: Evelyn. S & Shuckerburgh. M. A, Vol II, Macmillan and co, London, 1889, XV, 18.

(392) - جمعة شيخة، المرجع السابق، ص343.

(393)- محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ ، المرجع السابق، ص ص182- 187.

(394)- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص58، 59.

(395)- نفسه، ص58، 59.

(396)- محمد البشير شنيتي ، الجزائر قراءة في جذور التاريخ ، المرجع السابق، ص187.

(397)- محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية، المرجع السابق، ص68.

(398)- Salluste, Guerre de Jugurtha, V.

(399)- محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية، المرجع السابق، ص68

(400)- نفسه، ص73.

(401)- اندري ايمار وغيره، تاريخ الحضارات العام،ج2، (ترجمة فريد داغر)،ص105.

(402)- شافية شارن وآخرون، الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص54.

(403)- محمد الحبيب بشاري، روما وزراعة المقاطعات الافريقية بين 146 ق.م و285 م، دار الهدى، الجزائر، 2015، ص139.

(404)- نفسه، ص179.

(405)- شافية شارن وآخرون، المرجع السابق، ص58، 59.

(406)- محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص ص25- 28.

(407)- André Berthier, Op. Cit, p125, 126.

(408)- مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية النظام الامبراطوري ومصر الإمبراطورية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص ص38- 38.

(409)- شافية شارن وآخرون، المرجع السابق، ص61، 62.

(410)- محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص138.

(411)- شافية شارن وآخرون، المرجع السابق، ص62.

(412)- محمد الهادي حارش، التطور السياسي والاقتصادي، المرجع السابق، ص29، 30.

(413)- محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص ص20- 24.

(414)- محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص ص102-104.

(415)- Salluste, Guerre de Jugurtha, XII.

(416)- Salluste, Guerre de Jugurtha, XXVI.

(417)- محمد البشير شنيتي، سياسة الرومنة ، المرجع السابق، ص37.

(418)- محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية، المرجع السابق، ص89، 90.

(419)- Francois Decret et Mhamed Fantar, Op. Cit, p155.

(420)- محمد البشير شنيتي، ، الجزائر قراءة في جذور التاريخ ، المرجع السابق، ص24، 25.

(421)- محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص ص125- 133.

(422)- أحمد حسين السليماني، المرجع السابق، ص216.

(423)- محمد الصغير غانم، المملكةالنوميدية، المرجع السابق، ص102، 103.

(424)- أحمد حسين السليماني، المرجع السابق، ص180.

(425)- محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص ص102-104.

(426)- محمد البشير شنيتي، سياسة الرومنة، المرجع السابق، ص45.

(427)- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص165.

(428)- شافية شارن آخرون، المرجع السابق، هامش 74 ص97.

(429)- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص166.

(430)- تسعديت رمضان، الإصلاحات السيفيرية في بلاد المغرب القديم (193-235م)، رسالة ماجيستير، جامعة الجزائر، معهد الآثار، جوان 1990، ص22.

(431)- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص ص166-168.

(432) -Albertini(E), L'Afrique Romaine, p, 15.

(433)- محمد البشير شنيتي، سياسة الرومنة، المرجع السابق، ص 75.

(434)-Albertini(E), L'Afrique Romaine, p.15.

(435)- محمد البشير شنيتي، سياسة الرومنة، المرجع السابق، ص 76-77.

(436) عقون محمد العربي، المرجع السابق، ص 271-285.

(437)- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص233.

(438)- محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني (بحث في منظمة التحكم العسكري"الليمس الموريطاني" ومقومة المور)، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ص374.

(439)- جوليان(اندري شارل)، تاريخ افريقيا الشمالية، تعريب محمدمزال، البشير سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1969، ص323.

(440)- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص237-238.

(441)- محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص375-376.

(442)- جوليان(اندري شارل)،المرجع السابق، ص325.

(443)- محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص378.

(444)- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص240.

(445)- محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص326.

(446)- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص240-241.

(447)- نفسه، ص248.

(448)- محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص391-398.

(449)- محمد الهادي حارش، (التاريخ المغاربي...)، المرجع السابق،ص263.

(450)- محمد محي الدين المشرقي، أفريقيا الشمالية في العصر القديم،ط2،مطبعة دار الكتاب، دار البيضاء، 1957،ص134.

(451)- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق،ص264.

(452)- محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص407.

(453)- مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1976، ص364.

(454)- محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص409.

(455)- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق،ص270.

(456)- محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص439.

(457)- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق،ص190-291.

(458)- نفسه، ص292.

(459)- نفسه، ص292.

(460)- محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص410.

(461)- نفسه، ص410.

(462)- نفسه412.